تراثيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2312) السنة الثامنة

الخميس (24) تشرين الثاني 2011

12

محمود العبطة:
الديمقراطي الشعبي

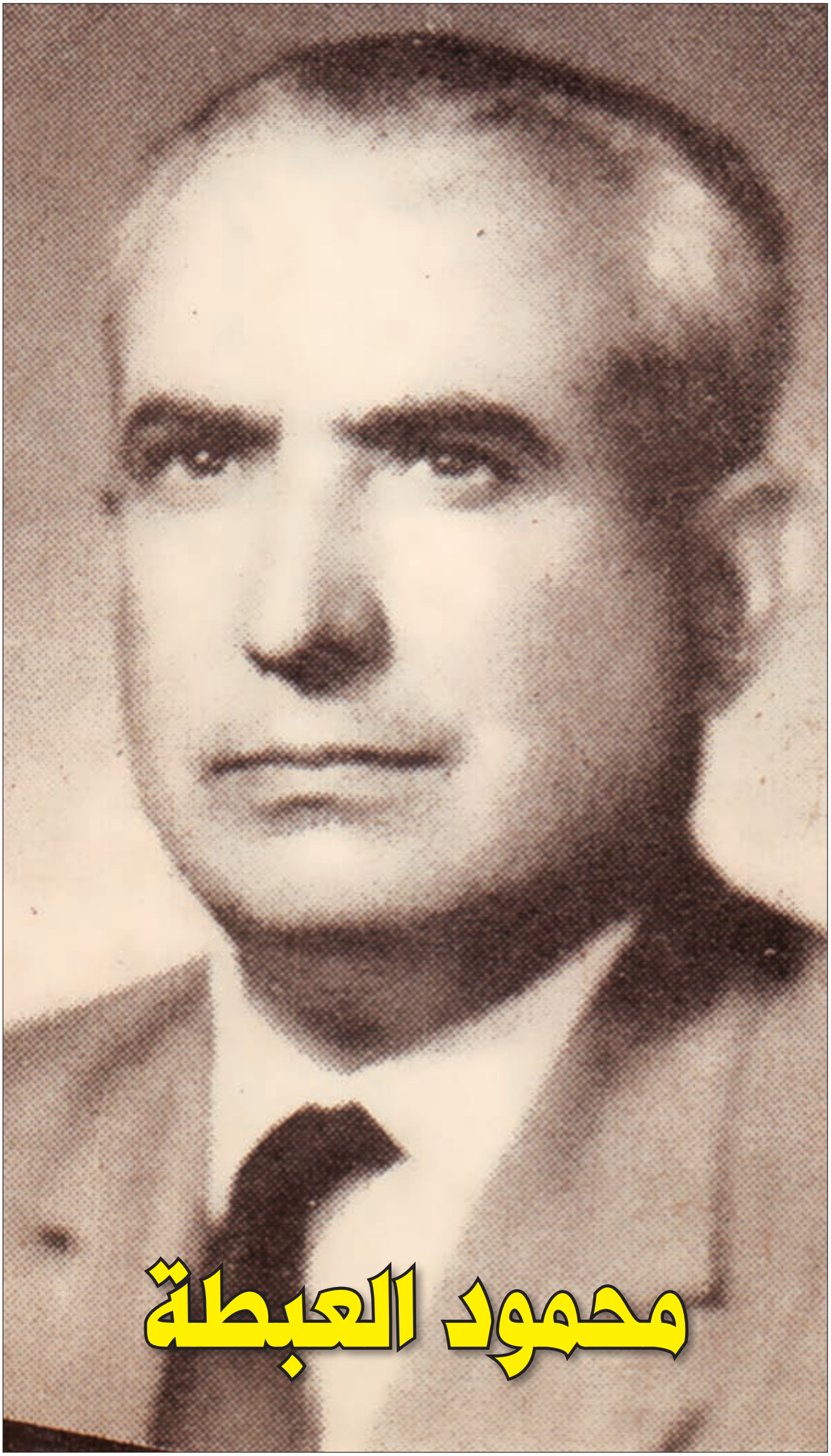

محمود العبطة

العبطة .. قاضيا واديبا

خالص عزمي
كاتب عراقي راحل

العطية مع مجموعة من الادباء العراقيين في زيارة لمدينة البصرة

اذا ما سرت في جانب الكرخ في الشارع الرئيسي بدءا من منطقة رأس جسر الشهداء ؛ وبمحاذاة شاطيء نهر دجلة ؛ فانك ستمر بمحلة الشيخ بشار ؛ فمحلة سوق الجديد ؛ فمحلة خضر الياس ؛ فمحلة الست نفيسة ؛حيث تسكن عائلة الحاج ابراهيم جاسم العبطة والد كل من الوزير القومي المعروف (محمد العبطة) ؛ والذي درسنا الاجتماعيات ؛ في السنة النهائية من ثانوية التفيض الاهلية ؛ والمحامي ؛القاضي الاديب(محمود العبطة)؛ الذي كان قد عرفني عليه في اواخر الاربعينات ؛ الشاعر و الباحث العروضي؛ واحد رواد التراث الشعبي (عبد المجيد الملا) في مقهى الخراز في (محلة جامع عطا ؛ لصاحبها المضياف الاريحي (عبد الله ابو ماشة) ؛ حيث كنا نرتادها . نحن الادباء الشباب . على تلك الايام .والتي كان يحضر مجلسها الادبي اسبوعيا ؛ الشاعر المسرحي خضر الطائي ؛ وقاريء القران عبد المنعم السيد علي ؛ والشاعر عبد اللطيف الكمالي ؛ والشاعر كمال الجبوري ؛ واحيانا يوسف الضاحي وفريد فتيان وعبد الرحمن السلوم .

كان محمود العبطة ؛ متوسط الطول ؛ عريض الجبهة ؛ حاد البصر ؛ له شارب قصير ؛ لايكاد المرء يتبينه الا اذا اقترب منه ؛ قوي الصوت ؛ له ضحكة مميزة ذات قهقهة متقطعة ؛ لا تلتقيه الا وقد حمل تحت ابطه الايمن بعضا من الكتب والمجلات التي حرص على وضعها في ملف كارتوني سميك ما استبدله الا نادرا

كان العبطة، قد بدأ النشر في الصحف البغدادية في الاربعينات وهو ما زال طالبا في الثانوية ، ثم راح ينشر في الصحف العربية المشهورة ، وابرزها (الرسالة) للاديب المصري الفذ ، احمد حسن الزيات ؛ وتطور نهجه الادبي بعد ذاك، فراح يركز على جانبين مهمين، الشخصية الثقافية العراقية ؛ والتراث الشعبي .

فتوسعت دائرة نشره بتوسع دائرة اطلاعه وتنوعها ؛ وكان لحضوره الندوات والمجالس الادبية سواء منها ما يعقد في البيوت او المقاهي المشهورة ؛ كالبيروتي والزهاوي وحسن عجمي والبرلمان والشابندر وخليل القيسي ؛ وعرب والدفاع والبلدية وباب المعظم ... الخ اثره البارز في تطور مفاهيمه الثقافية بعامة .

لقد امتهن العبطة المحاماة ؛ وصار ملازما للمحاكم وبخاصة الرئيسة منها المجاورة للقشلة ؛ وكان يطيب له الجلوس في غرفة المحامين حيث يلتقي كبار الادباء المحامين والقضاة ؛ كاحمد حامد الصراف ؛ وعباس العزاوي ؛ وفائق السامرائي ؛ وصادق الاعرجي ؛وداود السعدي ؛وحسين محي الدين ؛ وعبد الامير العكيلي

وعبد العزيز المطير وغيرهم كثير ؛ وكان لا يفضل سوى الجلوس في الركن الايسر الاخير من تلك الصالة الواسعة حيث كنا نجلس نحن شباب المحامين آنذاك في الخمسينات من القرن الماضي ؛ من امثال عدنان فرهاد ؛ وحارث طه الراوي ؛ وخالد عريم ؛ واحمد فوزي عبد الجبار ؛وعبد الستار الجميلي و فوزي عبد الواحد ؛ وبديع عمر نظمي ... الخ

كان محمود العبطة قريبا جدا من القوى اليسارية و الحركة الديمقراطية آنذاك ؛ كما كان قريبا من اقطابها ؛ كالاساتذة ؛ كامل الجادرجي ؛ وحسين جميل ؛ وهديب الحاج حمود ؛ ومحمد حديد؛ ومظهر العزاوي وغيرهم ؛ ولم ينقطع عن التواصل الا حينما عين في اوائل الستينات ؛ قاضيا خارج بغداد ؛ حيث راح يتنقل في منصبه في مدن شتى كخانقين والمقدادية؛ وبعقوبة ؛ وابي الخصيب ؛ والبصرة ... والذي عرف عنه آنذاك ان اهتماماته الادبية قد تغلبت على توجهه القانوني ؛ اذ لم يتخذ من القضاء مركزا يبرز فيه مواهبه وقدراته وعلمه ؛ لهذا لم يعد من أولئك القضاة المتفوقين في مجالي الادب والقانون ؛ كما مر بنا ونحن نستعرض طائفة بارزة منهم في فصولنا السابقة .

وعلى الرغم من تنقلاته بحكم وظيفته ؛ فقد ظل على اتصال مستمر بالحركة الادبية وبجمهرة الادباء والصحفيين ؛ فما من مقال او قصة او قصيدة تنشر في الصحف المحلية او العربية وتثير اعجابه ؛ الا ويكون له فيها رأي او تعليق ؛ وما اذكره ؛ ان اول برقية تهنئة وصلتني في اعقاب نجاح اول حلقة من عملي التفزيوني (نوابغ الفكر) عام ١٩٦٦ ؛ كانت من العبطة حينما كان قاضيا في بلدروز و كان قد ارسلها بتاريخ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٦ في الساعة العاشرة واربعين دقيقة جاء فيها (بلد روز ــ بغداد وزارة الثقافة والارشاد ــ الاستاذ خالص عزمي : نشد على يدكم ونبارك عملكم الادبي الرائع / محمود) .

كان محمود العبطة ؛ يفضل نشر دراساته وبحوثه ومقالاته وغيرها ؛ في كتيبات صغيرة الحجم سهلة القراءة والتداول ؛ بعد ان يكون قد نشرها في الصحف والمجلات ؛ وكان من ابرزها (حول السجن الكبير ١٩٥٤ومع المجرمين الطيبين ١٩٥٤؛ والقصة القصيرة في العراق ١٩٥٧ ثم تعاقبت مقالاته بعدئذ ومنها (جعفر ابو التمن ؛ معروف الرصافي ؛ خيري الهنداوي ؛ قاسم العلوي ؛ فهمي المدرس ؛ يوسف رجيب ؛ ابراهيم صالح شكر ..... الخ) .

اما بحوثه الفولكلورية فاهمها (رجل الشارع ؛ الفولكلور في بغداد (١٩٦٣) ؛ الملا عبود الكرخي ؛ عثمان الموصلي ؛ الموسيقى في بغداد...)؛ وتتوزع كتبه على انماط شتى من المعرفة ومنها (القافلة ١٩٥٩؛ الديمقراطية في العراق ١٩٦٠؛ محمود احمد السيد ١٩٦١؛ بدر شاكر السياب والحركة الشعرية المعاصرة ١٩٦٥؛ رؤساء تحرير الزوراء ١٩٦٩؛ الوطنية في شعر حافظ جميل ؛ والخطيب في تاريخ بغداد ١٩٨١ ... وهناك غيرها في الفارابي والرصافي وثورة العشرين ...)

اتصف اسلوب العبطة بالسلاسة والبساطة في التعبير ؛ فحينما تقرأه لا تجد فرقا بين ما يتحدث به وبين ما يكتبه . فيا طالما راقبته وهو يطلق صوته عاليا وهو يملي على قلمه ما يجول بخاطره ؛ دونما اي تكلف .

والنماذج التي نوردها هنا تفصح عن ذلك الاسلوب الذي تصاحبه الانماط الوثائقية والجيدة ؛ وبعض من نسمات الظرف البغدادي المعروف عنه .

× في الوصف : (بهرز بلدة وديعة واهلها يتصفون بالطيبة ومن المشاهد الرائعة فيها طراز البناء السكني المتباين في الارتفاع .....)

×السياب ١ ـ : (تعرفت على السياب عام ١٩٤٣في ناد أدبي صغير ؛ كنا نقيم فيه الاجتماعات الادبية ونكرم الشعراء ؛ وأهم تلكم الاجتماعات احتفالنا بسابع يوم لوفاة الرصافي ؛ وفي هذا النادي ؛ عرفني شخص أجهله الآن ؛ بشاعر من البصرة كما قال وانه تلميذ في دار المعلمين العالية فرع اللغة الانكليزية ؛ وكان سنه ؛ سن تلميذ في الدراسة ا لمتو سطة ؛ فأردتها مناسبة في تقديمه الى ا جتما ع صغير من ادباء بغداد ؛ وأخذ يقرأ شعرا من انماط شتى ؛ بأ سلو ب مؤ ثر و حر كات غريبة ؛ اذ كان يندمج في جو شعره ؛ اندماجا محببا ويؤشر اشارات تفصح عما في قلبه ؛ وقد حرك الشجون وهز العواطف .)

٢ ــ :(عندما اصدر الشاعر ديوانه الاول ازهار ذابلة في ١٩٤٧ وصدره بقصيدة من الشعر العمودي ومطلعها البيت المشهور ـ ديوان شعر كله غزل بين العذارى بات ينتقل)؛ أطلع على الديوان الشاعر التقدمي الاستاذ علي جليل الوردي فنظم بيتا على السجية وقال للسياب : كان الاولى لك ان تقول:

ديوان شعر ملؤه شعل بين الطليعة بات ينتقل ...)

× الأدب الشعبي : (لقد نبغ العراقيون بفن قراءة المولود النبوي الشريف ، اذ أجمع المؤرخون بأن اول محاولة في هذا السبيل هي التي قام بها المؤرخ ذو النسبتين دحية والحسين والذي توفي في سنة ٦٣٣ هـ؛ اذ ألف لصاحب أربل كتابا سماه (التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه في سنة ٦٠٤ ثم شاعت في بغداد ، ومنها انتشرت الى سائر الاقطار . وفي المولد يتلو القاريء قصة ميلاد الرسول (ص) بأداء خاص تتخلله وقفات تقوم بها البطانة ، وتغني ما يسمى بالتنازيل ويسهم الحاضرون معهم بالترديد او الغناء .) وكم اتمنى ان تعمد دور النشر الاهلية او الحكومية ، لجمع ماكتبه او نشره القاضي الاديب محمود العبطة في مجموعة موحدة لاعماله الكاملة خدمة للتاريخ المعاصر والأدب والتراث الشعبي.

عن كتاب ادب القضاة خالص عزمي

ذاكرة رجل الثقافة الشعبية محمود العبطة

مهدي حمودي الانصاري

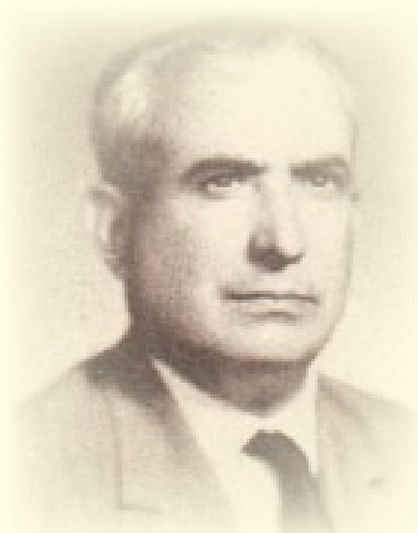

هو محمود إبراهيم العبطة ١٩٢١.١٩٨٦ ولد في محلة الست نفيسة من كرخ بغداد، ونشأ في هذه المحلة الشعبية العريقة وراح يدبج مقالاته عن تراث والوان الفولكلور البغدادي المقروء، مستمداً ذلك من البيئة الشعبية التي عاش فيها.

ومن هنا كتب يقول:

(هناك الوان فولكلورية حميمة وهي كثيرة جداً منها..

موكب الهلاي وموسم المحيا والعاب شهر رمضان وزفة العروس أو العريس، والختان والايام البغدادية الخاصة بزيارة الاضرحة والمساجد، وايام الكسلة والختان، والعاب العيدين، وصوم البنات، وزكريا، والجمبر سولي، ومواسم الكسوف والخسوف وصندوق الولايات، وموكب الختمة، واعتقادات طوب أبو خزامة، والجبسة، وزيارة الاربعين وأصناف المهن، ومواسم التشييع والفاتحة، وخبز العباس، والشموع المرمية في دجلة والزورخانة، والبطاح، والعاب الأطفال، والعاب الدامة، والمنقلة، والجلكة، والكعاب والصكلة، وأصناف المطيرجية، وضاربو تخت الرمل، وما إلى ذلك من الوان عديدة تجمع اكثرها فنون الفولكور، مع الاعتقادات الدينية والعادات والاعراف).

وقد اثرى العبطة المكتبة العراقية الشعبية بـ الدراسات التالية:

× رجل الشارع في بغداد ١٩٦٢

× الفولكلور في بغداد ١٩٦٣

× عثمان الموصلي في بغداد ١٩٦٤

× الموسيقى في بغداد ١٩٧٨

اما الثقافة والأدب والسير، فقد اولاها العبطة .رحمه الله .بنصيب وافر، أثرى المكتبة العربية بالمؤلفات والدراسات والبحوث التي نشرت في صحف بغداد ومنها ما كتبه في جريدتي (البلد) و(الأيام) عن محمود جعفر أبو التمن، ومعروف عبد الغني الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي وخيري الهنداوي، وقاسم العلوي، واحمد عزة الاعظمي، وفهمي المدرس ويوسف رجيب، وابراهيم صالح شكر، وعبد الحسين الازرقي، وعبود الكرخي وآخرين.

ومن الكتب والمؤلفات:

.القافلة جزءان ١٩٥٨.١٩٥٩

.محمود احمد السيد ١٩٦١

.الديمقراطية في العراق ١٩٦٠

.الفارابي في بغداد ١٩٧٥

.جمال الدين الافغاني في بغداد

.ثورة العشرين ١٩٧٧

.بدر شاكر السياب والحركة الشعرية المعاصرة ١٩٦٥

.من ديوان الرصافي ١٩٧٨

.رؤساء تحرير جريدة (الزوراء) ١٩٦٩

.الخطيب وتاريخ بغداد ١٩٨١

.الوطنية في شعر حافظ جميل

.المتنبي ذلك الشاعر البدوي ١٩٧٧

وأولى مساهمات رجل الثقافة والتراث الشعبي الأستاذ محمود العبطة القلمية، على صفحات مجلة (الرسالة) المصرية، لاحمد حسن الزيات عام ١٩٣٧، والثانية على صفحات جريدة الاستقلال لصاحبها عبد الغفور البدري عام ١٩٣٩، تراجم شعرية لحمد اقبال، عام ١٩٤٠، نشر في جريدة الهاتف لصاحبها جعفر الخليلي وعمل محرراً للصفحة الادبية لجريدة الانقاذ لصاحبها هشام الدباغ أكثر من ثلاثة أعوام وترأس تحرير جريدة (ابن البلد).

ومن تواقيع العبطة المستعارة في صحف بغداد (ديمقراطي)..

وشارك رجل التراث الشعبي في إصدار مجلة (التراث الشعبي)

وعين رئيساً لتحريرها اثناء حقبتها الاهلية.

حوار مع الاديب محمود العبطة

فلاح المشعل
صحفي عراقي

وترحل السنوات ووجوه الاحبة، وانت تتسيد على موائد المحبة والذكريات الاليفة، تعال نترافق بجولة اخرى في شوارع بغداد، وتردد قصائد اخرى وموضوعات في النقد والتاريخ والمسرح ومتصوفة العصر العباس، وشايا آخر في المقهى البرازيلي، اذا شئت، فقد اغلق "مقهى البرلمان" مجالسه والتجار طردوا الادباء الفقراء... الخطيب البغدادي ينتظرك عند بوابة المدرسة المستنصرية، ورجل الشارع في بغداد يتطلع لحكايات جديدة تروي تفاصيل حياته المهربة مع حقائب الفرح، برغم تشبثه برائحة الماضي وعتقه الجميل.

صباحات شارع الرشيد، تتساءل عن رجل كهل المعرفة والخطى بطرقها نازلا من جسر الاحرار، يعتمر قبعة وخمسين عاما من القراءة ومزاولة تعب الكتابة والحلم بعراق يخلو من الاوجاع "فما اصعب الكتابة وما اصعب العمر بلا كتابة" تلك حكمة شيخنا الذي رماه الحلم والتعب على سواحل شيخوخة مبكرة، هل كان شيخا بحق.؟ نعم، بالمعرفة والاحساس والفضيلة واستنطاق اسرار الآخرين، وحين يسير في الشارع او يدخل المقهى، بشعلهما بئار الحيوية والنقاش ومشاكسة الشباب لأجل الابداع، في المقهى يأنس لموسى كريدي، وحوار لاينقطع مع عيسى الصباغ واين المشغل (كما يسميه)، يلاطف احمد الصالح وزعيم الطائي، يهمس لعبد الجبار الهماوندي، ويسبح معه بذكريات السنين.. كان تظاهرة شبابية تفيض بالسؤال والمعنى وشحذ همم الاخرين.. يتبادل الكتب والاراء ويحرض على النشر ودعم المواهب الشابة، لقد احسن ابقاء شروط ابوته الثقافية والادبية بابداع نادر المثيل.. فلم يرحل الاباء سريعا..؟ ثمة متسع من الحب، وهذا مركب للحنين غادر شواطيء دجلة والقى بياطره على ضفاف الذكريات، شاغرة هي المقاعد كلها، هل من احد يصعد معي..؟

طيب ساسبقكم للحوار ، فالرجل ينتظر منذ خمس سنوات، وهاتان عيناه المرحتان بدأتا تشرقان ببهجة الحوار..

× استاذنا العزيز محمود العبطة المحامي، متى ولدت.؟

– عام ١٩٢٠ العام الذي انطلق به (المكوار) يقارع مدفع الانكليز في اول ثورة عراقية بهذا القرن، هناك هبطت السلم نازلا لمدارج الحياة وتفاصيل البلاد، برغبة الاله العزيز، وقبل خمسة اعوام غادرتكم دون رغبة مني.

× ماذا تحب؟

–يحزنني الجواب عن هذا..لقد اكتشفت بان نسيج الرؤية كان سرابيا بيننا كنا نتظر اليه ونحب وننتظر، فانا احب الشعر وكل فنون القول، احب الحرية والافكار السابحة بضياء الشمس، احب الاديان ومراقد الائمة والاولياء وتكايا الشيوخ، براءة الانسان، نقاء الرجال، الاطفال، الرسم والحضارة الاسلامية، عشقت الديمقراطية وقد مجدتها في وطني العراق عبر كتابي المرسوم "الديمقراطية في العراق" الصادر عام ١٩٦٠ ، وقائمة عشقي للاشياء لا تنتهي، انما هي دائما التجدد والاستطالة.

× يتقدم الشعر عادة في حديثك واختباراتك، فهل كتبت الشعر..؟ (كان مهذبا ونبيلا في اجابة الاصدقاء).

– سيدتي، حين تنظر لحياتنا نحن جيل الاربعينيات، والخمسينيات – هو اول من طرق باب طفولة الخيال والوعي الانساني وراح يؤثثهما بالسؤال والجواب، ولا تنس اني دارس للشعر ايضا، فقبل ان يجف حليب الامهات من شفاهكم كنت منشغلا بكتابي "بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق" الذي صدر عام ١٩٦٥ وكان اول اطروحة نقدية لدراسة الحركة الشعرية او الظاهرة الجديدة في الشعر العراقي، والتي تعد برؤيا علمية تحليلية، ثورة بهذه الاسئلة، انا لم أكن مؤلفا لكتاب يحكي عن الفولكلور في بغداد، انما هو اناء احتوى بعضا من سيول عشقي لبغداد، ودجلتها الخالد، لصباحاتها، لافريز جوامعها واصداء وجد المصلين قبيل الفجر، لحكايات الادب والفكر فيها، لنذورها وشموع زكريا، لبساتينها العابقة برائحة الحضارة العباسية واشعار ابي العلاء المعري وحكايات العيارين، لصدى انغام الجالغي والمقام والزهيري، لحلقات وهم شعبيون طيبون وفقراء لكنهم اغنياء بتراثهم الروحي، وما كتابي الا سياحة استذكارية في تفاصيل حياتهم الشعبية.

وكما قال الشاعر معروف الرصافي "اذا أردت ان تعرف ما هي عواطف السواد الاعظم من كل امة وما هي عاداتهم التي يجرون عليها . وافكارهم التي يتفكرون فيها، والمنازع التي ينزعون اليها فانظر في ادبيات عوامها فانها هي التي تمثل لك حالتهم الاجتماعية تمثيلا صحيحا".

× قبل ان تغادرنا بسنتين، وتحديدا في وقت صدور كتابك الاخير، الخطيب البغدادي، جمعت منا موضوعات متعددة ، فلأي غرض كانت؟

– نعم جمعتها الى جوار موضاعاتي بعدة ملازم لغرض اصدارها ضمن الجزء الثالث لكتابي القافلة الذي صدر منه جزءان عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩.

(وخرج الاستاذ العبطة من دائرة الاجابة وبدأ هو بالاسئلة قائلا..)

كفى اسئلة، اريد ان تحدثني عن بغداد وانا سها ، عن الاصدقاء وما جد في الادب؟

– عن ماذا احدثك يا سيدي، ومعلمي، ارادوا تمزيق ثوب عفافها، لكنها لم تزل بكامل فتنتها، اما الاصدقاء والادباء فقد تضاعف جوعهم، (تلفت يمينا ويسارا فلم اجده، يبدو انه قد غادر مقعد الذكرى دون ان اراه، هكذا هم الحكماء لايشعرون الاخرين بغضبهم) واذ تفصلنا عنك السنة الخامسة، ايها الراحل الوقور، ندعو لك بالرحمة وانت تتسيد محبتنا والذكريات.

ملاحظة: هذه الطريقة في الكتابة الصحفية، مستعارة من فنون الدراما، ووجدتها مناسبة في الكتابة عن الراحل العبطة، فهو حوار متخيل اراه اكثر نفعا وتشويقا من اسلوب السرد والاستطراد لاسيما في الصحافة اليومية.

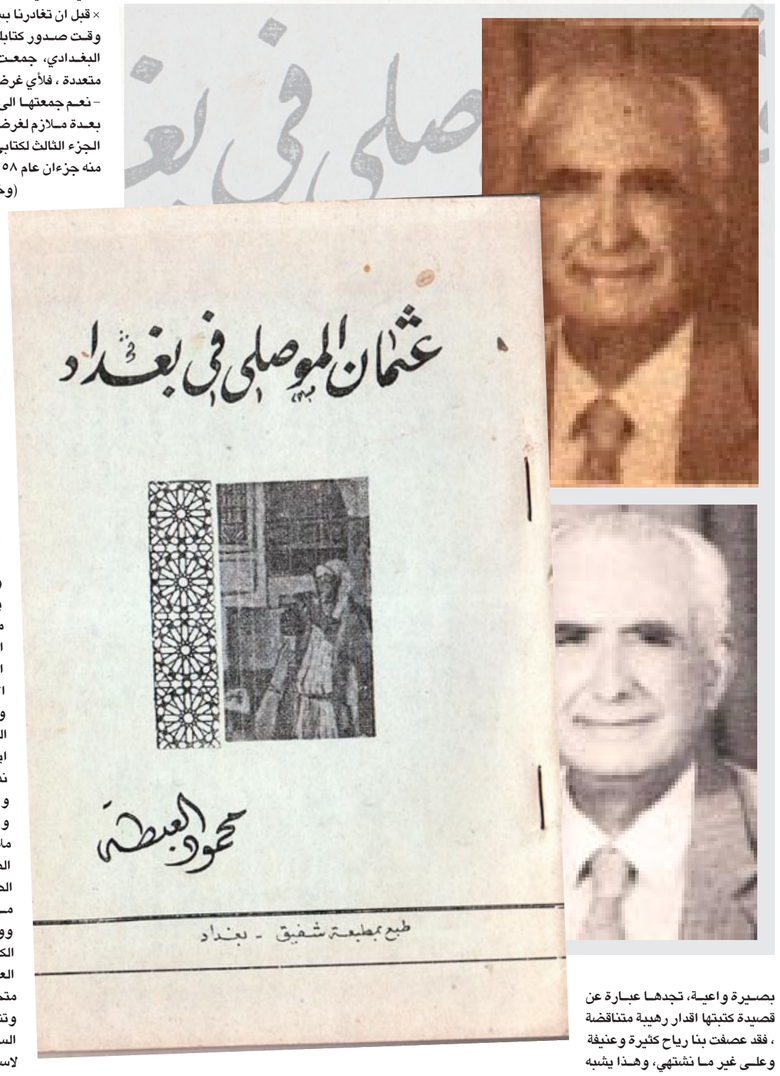

اجري الحوار عام 1979 ونشر بعد وفاة العبطة في صحيفة الجمهورية

العبطة .. اديـــــب بـــغـــداد

خاص بالمدى

صدر في بيروت ابان عام ١٩٤٩ كتاب بعنوان (مواكب الحرمان) عن دار المكشوف للنشر ورسم لوحة غلافه المستوحاة من فحاوى قصائده النثرية الفنان المعروف رضوان الشهال ومؤلفه احد شباب الادب الواعدين يومذاك يدعى سالم الكاتب، وكتب مقدمته محمود العبطة جاء فيها:

«ما مولد الاديب الحق الا عرسا من اعراس الحياة، وعيدا من اعياد الطبيعة، لان هذا الاديب بذاتيته الخاصة وباصالته الفريدة وبلونه المتميز هو لحن جديد ينضاف الى قيثارة الوجود. تلك القيثارة الهائلة التي وقع على أثارها مئات من الموهوبين الذين اخترقوا الحجب وطفروا الموانع وقفزوا الى الحياة، ولكن بخفة وحرية ورشاقة لا يعرف الجامدون من الادباء، ولا يدريها اصحاب الصناعة اللفظية وعشاق الجرس والذين يجترون المعاني ويعيدون ما ابتدأوا ... الخ.

قد تنظر هذه العبارات المشيدة بما للادب الصادق الحي من اثر في تربية الذوق الفني وترهيف سليقة الانسان وتهذيب شعوره وتوخيها سلما للارتقاء بحياة البشر وابتغاء سعادتهم وخلو حياتهم من ايما كدر او تعاسة لما كتبه جبران خليل جبران واضرابه من الرومانسيين الحالمين والمتطلعين لعالم يسوده الخير والصفاء والجمال والحق لكن الكاتب لم ينبر او ينتو تسديد خطا ابناء الجيل وتوجيههم في بداية مراسيم للصنيع الادبي والفكري، بقدر ما اعرب عما يكنه وينطوي عليه من غبطة بمثولهم في الساحة الادبية بغية ان يضطلعوا بوظيفة الادب وينشروا الوعي بين الناس، دلالة تجرد نفسه من الحسد اللئيم ان يقوى يساعدهم وتزكو مواهبهم، وهذه الخصلة من اسمى ما يتحلى به الانسان الواثق بنفسه والقانع بما يسديه من عطاء الموهبة والقابلية المحدودة، خلافا لما درج اترابه من اشتغال بالنية وتله بالاغتياب وانصراف الى التهوين من قدر هذا وذاك ووهمه بابشع النعوت والاوصاف، حرصا على الاستئثار والرجحان في الموازين والمقاييس الادبية،

مارس الاديب الراحل مهنة المحاماة سنين طوالا. وجعلها مورد الرزقه والقيام بشؤون من يعيلهم وتوفير مستلزمات حياتهم واشتغل بها بشرف ونزاهة واجتراء على التوكل بالدعاوى الشرعية المحفوفة بالملابسات والتعقيدات، فخلص الى رد الحيف والمظلمة عمن يقاسي منهما، فأما الكتابة والتأليف فقد اتخذها هواية في اوقات فراغه رغم غشيانه المحافل والاوساط الادبية ووثاقة صلته باربابها، ورغم تعدد الجوانب والنواحي التي تناولها بالدرس والمعالجة وتشعب قراءاته في عهده الاول، مما اكسبه شهرة فائقة على انه دارس وباحث وفولكلوري ومطلع على مأثورات الاساطين واعلام النهضة الحديثة، على ان المحاماة تستأثر بالحصة الاوفى من وقته نظرا لما تقتضيه دواعي المعيشة ، فلم يعن بتمتين لغته وتوشية بيانه، انما يكتب بوحي السليقة واستيلاء شدة نفسه عليه بتعبير واحد من الاقطاب. لذا جاءت ابحاثه الثلاثة في سير رؤساء الاحزاب التي لعبت دورا بارزا في حياة المجتمع العراقي من ناحية تنبيهه وتفتيح وعيه قبلا على ام يراد به من تعسف وكيد وهم كامل الجادرجي وسعد صالح ومحمد مهدي كبة، ولابد ان جاءت هذه الدراسات الثلاث الضافية المنشورة تباعا في جريدة العراق المحتجبة . غاية في الاستقصاء والتحليل والتألف في الاسلوب المتدفق انه اجتلى بالنسبة للجادرجي تلمذته للرصافي المؤرخ الثبت الذي يستغرق في دراسة العقائد والاديان والمذاهب والتصوف فضلا عن الشاعرية، واطنب في شاعرية سعد صالح التي اهملها ولم يتفرغ لها كليا. وكان يمكن ان ينتهي منها الى ان يصير من النوابغ، واكبر في محمد مهدي كبة كراهته للعنف وجنوحه للمسالمة والوداعة واهتمامه برباعيات الخيام وعكوفه على ترجمتها، فضلا عن اسهابه في تبيان ما تميز به اولاء السياسيون من خصال هي النزاهة والاخلاص والغفة والتجرد، على ما يشتجر بين بعضهم من لدد وتباين في الرأي وذاك من طبيعة الاشياء التي يتجاوزونها الى حال من التوحد والائتلاف والتفكير في الاستظلال بحزب واحد هو المؤتمر الوطني كما حصل في الخمسينيات للوقوف بوجه ملف بغداد، لاسيما بين الحزبين الوطني والديمقراطي والاستقلال، بعد ان انحسر دور حزب الاحرار بموت رئيسه منذ عام ١٩٤٩.

كان العبطة الى جانب ذلك خبيرا بخطط بغداد وآثارها التاريخية ادرك الجيل القديم من الادباءوالمفكرين وجالسهم وتعلم منهم الشيء الكثير من حسن ادارة المجالس الادبية واحتوائها من خلال مثول شخصه فيها محاورا ومستمعا، ولا غرو ان احيا تراثهم وعاود الكتابة بين آن وآخر، امثال الرصافي والشرقي والازري والاب الكرملي، وكفاه بهذا مفخراً.

هذا المقال وجده المحرر في ارشيف ملحق (عراقيون) وهو بخط صاحبه المجهول

محمود العبطة
ذكرياتي عنه

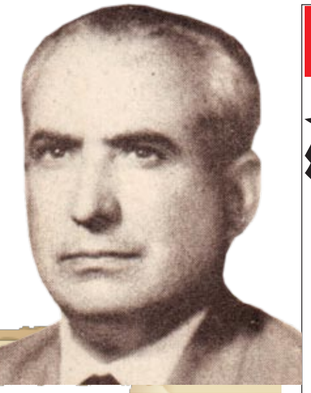

ابراهيم باجلان
اديب كوردي

بينما كنت اقرأ صفحة "أدب وثقافة" في جريدة العراق لعدد السبت الموافق ١٩٨٦/١٢/١٣، اثار انتباهي موضوع بعنوان "محمود العبطة عاشق بغداد وابنها البار" بقلم السيد "عيسى الصباغ" وفي بادئ الامر ظننت الموضوع مقالا او رأيا حول ادب محمود العبطة، ولكن عندما وصلت الى قول الكاتب: "حقا لم يعد لهذا الرجل الاشيب الوقور وجود بيننا" . هبط قلبي، اذا لقد أفل نجم ذلك الاديب الاريب الذي قدم للثقافة والفكر في العراق خدمات لا تنسى، فقد ظل يرفد المكتبة العراقية بمؤلفاته ويغني الادب في العراق بمقالاته وابحاثه المتنوعة لاكثر من اربعين عاما.. حقا لقد اشجاني النبأ وألم قلبي لهذه المفاجأة المحزنة إذ عوجل العبطة الى رحمة ربه واجته ضريحه وانا اعلم بالخبر عن طريق زاوية في صفحة ثقافية؟.. وقد كان رحمة الله صديقا عزيزا عليّ ربطتنا صداقة ادبية لمدة بضعة اعوام.. وبقيت اتابع انتاجاته حتى ايامه الاخيرة.. انه لأمر مؤسف حقا – صحيح ان الموت سبيل كل حيّ على وجه الارض ولكن عندما يفقد الانسان صديقا اديبا وكاتبا فاضلا فالامر ادهى و امر، ونحن نحزن لفقد من كان في مستواه ومنزلته ولو لم يكن صديقا، لان في موت امثاله خسارة لا تعوض للادب والثقافة.. ذلك الرجل الكبير المتواضع اللطيف الذي كان صوته مدويا على صفحات المجلات والجرائد العراقية والعربية وفي المؤتمرات الادبية وصاحب المؤلفات القيمة، لذلك تلقيت نبأ وفاته بوجوم وحزن اقرب الى الذهول، فكانت كلمات السيد عيسى الصباغ في تأبينه معبرة وصادقة، ورأيت وفاء للراحل العزيز ان ادون هذه السطور وهو اضعف الايمان، لانهض بواجب الانعام وذلك بالاشارة بمناقبه، اذ تعود بداية معرفتي له وصلتي معه الى اواسط الستينات وبالتحديد الى يوم الرابع من أيار (مايس) سنة ١٩٦٦ إذ زرته لأول مرة وكان يومها حاكما في محكمة خانقين، فقابلته في داره عصر اليوم المذكور لاقدم له شكري على اهدائه كتابين من نتاجاته الى مكتبتي (مكتبة الثقافة) في خانقين وهما (بدر شاكر السياب والحركة الشعرية المعاصرة في العراق) و(الفولكلور في بغداد) وكنت عهد ذاك في فورة حماس الشباب اقرأ كثيرا وانظر الى الادباء المفكرين نظرة تبجيل وتوفير تصل الى درجة التقديس، ونظرا لفارق السن بيننا والتعظيم الذي كنت اضمره للمفكرين والفنانين وما زلت تهيبت كثيرا قبل مقابلته وترددت ولكن ما ان دخلت داره التي كانت قبالة مكتبة الثقافة على الشارع العام بمحلة المزرعة في خانقين.. ومددت يدي مقدما نفسي فصافحني بحرارة وود فازال بحفاوته وبشاشته وتواضعه كل ذلك التردد الذي انتابني قبل اللقاء.. وجلسنا في حديقة داره، وحمل الي البارد بنفسه، ودار بيننا حديث ادبي وثقافي وسياسي شامل دونت في دفتر المذكرات بتلخيص ما دار بيننا.

ويحز في نفسي اني سجلت رؤوس اقلام عن ذلك اللقاء ولم ادونه بالتفاصيل. وقد اعقب ذلك لقاءات اخرى ولكن اقصر لاني كنت جنديا ولم اكن موجودا في خانقين بسبب اداء خدمة العلم، وبعد مدة اقل من عام نقل من خانقين الى بلدروز ثم الى بعقوبة ومحافظات اخرى، ولم تنقطع الرسائل بيننا، ومازلت احتفظ ببعض رسائله، وعندما نشرت مقالتي عن الاستاذ الاديب عبد المجيد لطفي.. بعث الي برسالة تهنئة يقول فيها: "اذكرك في كل حين وقرأت مقالك عن استاذي لطفي اكثر من مرة". تأملوا كم هو رائع هذا الكاتب المخضرم الذي يذكر الرواد باحترام وتواضع الا يدعو هذا الموقف وهذا التكريم للاعجاب والتقدير؟.. ومنهم من اذا قرأ كتابا واحدا اعتبر نفسه فيلسوف الادباء واستاذ الجيل..

وكما ذكر عنه الاستاذ الصباغ فانه كان ذلك الاديب المتواضع الذي لايمل من صحبة الاخرين ولا يمل الاخرون من صحبته ينتظرون مقدمه بما عرف عنه من رعاية المواهب الناشئة تشجيعا ودعما وصقلا.. ان هذا الموقف بالذات جدير بالاشادة والتنويه، ذلك لأن بعض الادباء البارزين يشمخون بانوفهم على الناشئين وكان الادب حكر عليهم وحدهم.. وكأن ديدن الحياة الجمود والتوقف وليس التغيير والتغيير ابدأ.. وبهذا استطاع ان يقدم خدمات للادب لاننسى.. اذ كان قبل كل شيء انسانا واقعيا.. بسيط ناصح السريرة سليم الطوية يحترم جيل الرواد ويقدرهم ويأخذ بايدي الشباب الذين يتوسم فيهم المقدرة ويشم منهم عبير الابداع.. وانه كان دوما يتابع اخر الاصدارات الادبية باحثا بنفسه ومستعينا باصدقائه ولا يستنكف من اراء الناشئة وانما يعمل بالمشورة الصحيحة منهم ويعتز بها واتذكر انه كان يقول عن الكاتب الكردي المرحوم (حسين محمد سعيد)! (حسين ذاكرتي) لانه كان يوصل اليه اخبار الاصدارات الادبية واهم المواضيع التي تنشر في الصحف والمجلات المختلفة.. بعد هذه المذكرات الشخصية اضيف ان الفقيد كان موسوعيا في ثقافته وكما تشهد بذلك مؤلفاته كما كان خبيرا بالعادات والتقاليد الشعبية محبا لتراث هذا الشعب بعربه وكرده، وحسبه فخرا انه كتب عن انتفاضة سنة ١٩٢٠ في السليمانية وحركة الشيخ محمود الحفيد وعن راية صلاح الدين وعن ثورة البدر خانقين وعن الجزائر في الشعر الكردي. كما كان من الكتاب الذين اشادوا بدور الكرد في ثورة العشرين وبينوا مساهماتهم فيها.. وكانت له صداقات وعلاقة ود واحترام مع عدد من الشعراء والكتاب الكرد ومنهم الشاعر الكبير كوران، ومحمد توفيق ووردي وغيرهم.. وكما اوضح بنفسه خلال اللقاء الذي اجرته معه صفحة (تراث ومعاصرة) في جريدة العراق في ١٩٨٢/٣/٢٠ ، وهو يقول: ترجمع صلتي بالاخوة الادباء الاكراد الى سنين ماضية ولعلي لا اغالي اذا قلت انني من اوائل من التقتوا الى هذا الجانب بحكم الاخاء التاريخي بين القوميتين العربية والكردية، ولذلك كتب كثيرا عن اعلام الادب الكردي.

والفقيد من مواليد بغداد سنة ١٩٢١ وقد انهى فيها دراسته وتخرج في كلية الحقوق العراقية عام ١٩٥٣/٥٢ ومارس المحاماة حتى عام ١٩٦٦ حيث عين حاكما في اقضية ومحافظات عديدة من خانقين الى بعقوبة الى البصرة فالسماوة. واستقال من الخدمة القضائية سنة ١٩٧٢ لكي ينصرف الى الانتاج الادبي وممارسة المحاماة.

لقد كان والده المرحوم الحاج ابراهيم بن جاسم بن طه التكريتي يمتهن (البناء) وبرز فيها قبل الحرب الاولى (كاسطة) فاقام الدور والمساجد وقد تقرر ابقاء بعض البيوت التي شيدها كنموذج للريازة البغدادية. اما هو فقد ساهم في تشييد صرح البناء الثقافي في العراق وترك اثارا خالدة تشهد على كفاءته وامكاناته الادبية والثقافية الموسوعية حيث كتب في الادب والشعر والفولكلور والسياسة والنقد والتاريخ ككاتب قدير وباحث متمكن من فنه وهو القائل في مقدمة الجزء الثاني من (القافلة) (اردت ان امثل الغفة والاستقامة وطيبة السريرة والنظر البعيد والسلامة في القصد فعجزت والله عجزت). وهذا تواضع كبير منه فقد وفق الى حد كبير لكل ما تمناه من طموحات خيرة.. رغم ان العصمة لله وحده.. واهم نتاجات الفقيد:

١- القافلة بثلاثة اجزاء ١٩٥٨ – ١٩٥٩.
٢- الديمقراطية في العراق ١٩٦٠
٣- محمود احمد السيد ١٩٦١
٤- رجل الشارع في بغداد ١٩٦٢
٥- الفولكلور في بغداد ١٩٦٣
٦- بدر شاكر السياب والحركة الشعرية المعاصرة في العراق ١٩٦٥
٧- عثمان الموصلي في بغداد
٨- الفارابي في بغداد ١٩٧٥
٩- جمال الدين الافغاني في بغداد
١٠- ثورة العشرين في بغداد ١٩٧٧
١١- المتنبي ذلك الشاعر البدوي ١٩٧٧

اضافة الى ما ذكره الفقيد بنفسه خلال اللقاء الذي اجرته معه صفحة (تراث ومعاصرة) ان آخر اعماله دراسة مستفيضة عن مؤرخ بغداد احمد بن علي الخطيب وله مخطوطات عديدة منها دراسة عن الرصافي وعن خالد النقشبندي في بغداد وعن عبد الحسين الازري بالاشتراك مع السيد نوري الحسولي. وله مساهمات في الصحافة العراقية حيث نشر اولى مقالاته عن الرصافي في جريدة البلاد سنة ١٩٤٤، وفي جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام والهاتف والرسالة المصرية وكان ضمن اسرة تحرير (الاسبوع) لصاحبها خالص عزمي واصدر مجلة (القلم) كما عمل في الانباء الجديدة وغيرها من الصحف والمجلات كما كان من اوائل من اذاعوا الاحاديث من الاذاعة العراقية منذ بداية تأسيسها . ماذا بوسعنا ان نقول في حق الرجل وهو في ذمة الخلود إلا الثناء العاطر والذكر الطيب ولكن اروع ما يمكن ان نفعله للراحل العزيز.. ان تقوم الجهات المعنية بطبع نتاجاته المخطوطة وجمع مقالاته وابحاثه في الصحف والمجلات المختلفة..

مجدا ابا امل ووداعا.

العراق 1987/1/17

العبطة "خارج المدى" داخل الروح

احمد هاتف
كاتب وصحفي عراقي

(١)

بصمت الملائكة، في لحظة لم ندركها، الادراك جاء متأخرا مثلما تجيء هذه السطور، فمن منا يستطيع ان يستوعب فراق الاحبة بتلك السهولة التي يجيء بها هذا الفراق باعتباره واقعا حتميا. من الذي يستطيع ان يتصور كيف يهمد قلبه وقلمه فجأة ودون ضجة لتبقى الورقة.. بيضاء مثل قلب شاعر.. لنرفع القبعات ايها الاصدقاء فقد رحل كاتب تصورته شابا طيلة معرفتي به ومحادثاتي له ولا ابالغ لو قلت ان هذا الرجل الوديع كان اشد المتحمسين لكل المستجدات الثقافية، ولو عدنا الى مكتباتنا لوجدنا انه اول من كتب عن شاعرنا الكبير بدر شاكر السياب باعتباره رائدا للشعر العربي الحديث رغم وجود الكثيرين ممن انكروا على الشعر هذه الخطوة الرائدة في ذلك الوقت. ورغم ما يقال عن طبيعة هذه الدراسات النقدية الا انها تبقى مؤشرا مهما في توثيق جانب من حياة الشاعر بدر شاكر السياب.. وكذلك بقية دراساته عن الفلكلور في بغداد وشعر حافظ جميل.. اضافة الى دراسته الاخيرة التي لم تر النور بعد والتي ارجو ان تطالها يد الاهتمام.. هذه الدراسة عن القاص العراقي، جعفر الخليلي، واعتقد لكوني قد اطلعت على بعض فصول هذه الدراسة انها من الدراسات المهمة عن الخليلي وتطور القصة في العراق.. ولذا اتمنى مرة اخرى ان تنال جانبا من اهتمام وزارة الثقافة والاعلام في العراق والتي تساهم في بناء الثقافة العربية في جوانب مهمة منها وواعتقد ان هذا الكاتب لم ينل حقه كاملا من هذا الاهتمام في حياته لان دور النشر الخاصة كانت تتولى طباعة كتبه دون مشقة.

رحل محمود العبطة المحامي.. وترك فراغا في زحمة مهرجان المربد الشعري.. في الوقت الذي تستقبل فيه بغداد اصدقاءه النقاد والادباء.. هؤلاء الذين سعوا للبحث عنه.. واحزنتهم النتيجة. ومن هؤلاء الاستاذ عيسى بلاطة الذي كان العبطة يتمنى ان يراه لانه من المتحمسين لكتابة عن السياب وكانا قد التقيا ايام ما كان بلاطة يعد كتابه وكان العبطة احد مصادره المهمة.. رحل محمود وبقيت كتبه والاصدقاء وتخوت المقاهي التي كنا نتجمع حوله فيها نستمع اليه ونضحك لتوادره وانتقاداته الساخرة.. التي ما كانت تجرح احدا ولا شيء لاحد. وها نحن قيد التذكر نتوخى الورقة.. نستعطفها لنكتب بضمير الحاضر.. فلقد كان حاضرا دائما وسيبقى...

(٢)

اقطع جسر الشهداء ثم انعطف يمينا.. اسير بمحاذاة المدرسة المستنصرية ثم اوغل في اليمين لادخل قهوة عبود وهناك اتعرف على محمود العبطة وكان موعدنا قد حدد مسبقا الجمعة، جلست وناولني الرجال كتابا عن الرواية الافريقية وعليه كلمات كلما فتحت الكتاب طالعتني.. راح محمود يتحدث لي عن الرواية في العالم الثالث وطلب مني ببراءة وتواضع الكبير ان اعيره بعضا من تلك الروايات.. وهكذا كنا نلتقي احدثه عن الرواية ويحدثني عن الشعر واعجابه الشديد بحيوية احدى الجرائد ومرة طلب مني ان اوصل مقالا ونشر المقال وكانت فاتحة تعامله مع الجريدة هذا التعامل الذي استمر حتى ايامه الاخيرة.

(٣)

سكنت انفاس محمود الذي ارتبط باسم جدته العبطة حتى عرف بها. مثلما ارتبط بصخب المقاهي ومماحكات روادها تلك المقاهي التي يحفظ تواريخ قيامها وتواريخ روادها.. لقد كان ضيفا معززا من قبل اصحابها يودونه ويشاطرونه حكاياتهم.. فلقد ارتبط محمود بحياة الناس هؤلاء الذين عاش بينهم طفلا ومحاميا وكاتبا وصديقا.

لك محبتنا ايها الصديق المبدع دائما.

كلمة القيت في تأبين العبطية 1986

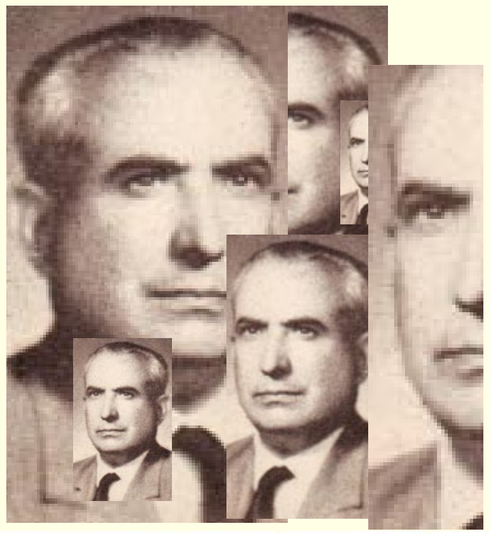

محمود العبطة
بين هواية الادب وحرفة القانون

عبد الحميد الرشودي

في صباح يوم الجمعة الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٨٦ سكن القلب المتعب، وسكت اللسان الذرب، وهدأ ذلك الجسد المجهد عن الحركة، بعد طول كد وعناء نيف على ستين عاما منزعات بالشهد والصاب، يتنازعه حب الادب من ناحية وحرفة القانون من ناحية اخرى، حتى غلبت هواية الادب عنده حرفة القانون فسخر الثانية لخدمة الاولى.

فقد كان – رحمه الله – مغرما بالكتاب يتعشقه عشقا صوفيا ويفتتن به ايما افتتان فما يكاد يسمع بصدور كتاب جديد الا وجد في طلبه، فلا يهدأ له بال او يقر له قرار حتى يظفر به شراء او استعارة او هبة؟

لقد عرفت المرحوم محمود العبطة بالاسم قبل الرسم، فقد وقفت له على بعض المقالات المنشورة في الصحف ثم سعدت بزمالته طالبا في كلية الحقوق (١٩٤٩ – ١٩٥٣) فكان نعم الصديق وفاء واخلاصا في مشهد ومغيب، فاتصلت بيننا اسباب المودة وزالت الكلفة لتحل محلها الالفة، ولاعجب في ذلك فلأدب نسب، وقد دامت هذه الصلة الاخوية ما شاء الله لها ان تدوم، لم يكدر صفوها وفق ولم يفسدها ما يفسد المودات بين الناس، من اعرا الدنيا هذه الفانية ومتاعها الزائل وظلها الحائل.

لقد كان – رحمه الله – يمثل ذلك الجيل الادبي الذي نشأ وترعرع ابان الحرب العالمية الثانية واصطلى باوارها فجاء ادبه وهو يحمل بين سطوره نزعات القلق والتمرد والحيرة.

ولعل لنشأته الاولى في محلة سوق حمادة في كرخ بغداد – تلك البيئة الشعبية السمحة اثرا في سلوكه، فقد كانت البساطة والصراحة وارسال النفس على سجيتها من اهم سماته المتميزة، فهو بسيط في ملبسه ومجلسه وحديثه لايتكلف وقارا ولا يصطنع حشمة، وقد عرف خلطاؤه واصدقاؤه الادنون هذه الخلال الكريمة فيه فغفروا له كل ما يوجب اللوم او يعقب الندم، بعد ان وثقوا من طيبته وسلامة طويته، فقد كان صديق الجميع، ومذهبه فيالحياة مجاراة الجليس ونصرة الصديق. لقد اتجه المرحوم محمود العبطة في إدبار الخمسينات الى اصدار دراسات وبحوث في كتب صغيرة يتفق عليها من خالص ماله اشباعا لهوايته الادبية ويوزع جلها على اصدقائه ومعارفه عن سماحة وطيب خاطر، بل كثيرا ما كان يتحمل نفقات ايرادها الى اصدقائه في المحافظات او في الوطن العربي ولعل من الوفاء للفقيد ان نذكر تلك المؤلفات منسقة وفق تاريخ صدورها.

١- القافلة بثلاثة اجزاء، الاول (١٩٥٨) والثاني (١٩٥٩) والثالث (١٩٦٨).
٢- الديمقراطية في العراق (١٩٦٠).
٣- محمود احمد السيد (١٩٦١).
٤- رجل الشارع في بغداد (١٩٦٢).
٥- الفلكلور في بغداد (١٩٦٣).
٦- من رؤساء تحرير جريدة الزوراء (١٩٦٩).
٧- اضواء على شعر السياب (١٩٧٠).
٨- ادباء معاصرون بين البصرة وبغداد (١٩٧٣).
٩- عثمان الموصلي في بغداد (١٩٧٢).
١٠- بغداد وثورة العشرين (١٩٧٧).
١١- الخطيب وتاريخ بغداد (١٩٨١).
١٢- الوطنية في شعر حافظ جميل (١٩٨٥).

وبعد، فما احق الاديب الذي يسقط بين اوراقه واقلامه بكلمة رثاء تنصفه من دهره وما اجدر اسرته الثكلى بكلمة عزاء تخفف لوعتها وترقيء دمعتها، وان كانت الحال كما قال الشاعر:

ليس المعزي بباق بعد ميّتة
ولا المعزي وان عاشا الى حين

محمود العبطة .. والتراث الشعبي

في مجلس ناجي جواد الساعاتي، العبطة بين عبد المجيد لطفي وحسين محفوظ

باسم عبد الحميد حمودي

مدخل ورسالة خاصة

لم يدر بخلدي يوما ان اودعك هكذا في المجلة التي احببت وازرت واعطيت لها ولاهل التراث الشعبي الكثير.

لقد جاورتك في منزل الحاج ابراهيم العبطة وجلست اليك طويلا وانت في غرفة المكتبة التي تقع مقابل (التوته) الكبيرة في السطح، وتسللت اليها مراراً من الفتحة الموجودة بين بيتينا اثناء القيلولة لاقرأ ما يرد اليك من كتب من شتى ارجاء العواصم العربية.

وحين افترقنا، انت الى المحاماة والحاكمية وانا الى التدريس وجنوب الوطن لم نكن متباعدين فانا احس صدقك وحرارة عواطفك وانت تتحدث عن هذا الكتاب او تلك القصة، ومنذ اول كتاب لك (القافلة) وانا اتابعك واناقشك وانت تصغي وتثور وتوافق وقد بقينا هكذا حتى يوم حملتك وانت في رحلتك الاخيرة صباح الجمعة الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٦ – قالت بناتك انك نمت ليلتها كطفل وارتحلت هادئا دون ان تؤذي احداً او تنبه صغيرة الى وجعك وداعا محمود، فقد غادرت الدنيا وقد اعطيتها الكثير.

مدخل عام..

اذا كان بعض اصدقاء الفقيد مثل رياض قاسم وعبد الحميد كاظم الصائح واحمد هاتف وعلي حسين وغيرهم قد قالوا او انشدوا كلمة الحق فيه فان اخرين من خلصائه الاخرين لم يفعلوا، وفي الوقت الذي اجد لزاما ان اشيد بصدق عواطف الزملاء اجد ان من الخير ان اشير الى ان الشباب كانوا اكثر انفعالا مع حدث رحيل العبطة السريع فقد توهج رياض قاسم وقدم الاخرون صفحة كاملة عنه وذاك دليل على انحياز العبطة للشباب انحيازا مشاكسا موجها ومؤثرا، وذاك دليل على كسر القيد لحاجز الاجيال فهو محامي السياب وحسين مردان وهو ناقد مجلة (الحديث) الحليبة في الاربعينات وهو رائد من رواد التراث الشعبي العراقي منذ بدء الدراسات الحديثة فيه ولكن كل هذا التاريخ لم يكن يمنعه عن المجلس البغدادي الذي يصنعه في المقهى او في مكتب المحاماة او في باص المصلحة فقد ظل وفيا لصورة رجل بغداد الجميلة لاصالة الطرفة والحديث الحضاري وظل – حتى اخر ايامه – يلاحق الجديد المنشور والناشر ويتتبعهما – بهذه الروح كان العبطة وبها غادرنا.

كتب العبطة الفلكلورية:

كتب محمود العبطة في حقل الفولكلور ثلاثة كتب نحاول هنا عرض اثنين منها فهما الاهم والاوفى وتتجلى في "رجل الشارع في بغداد" و"الفولكلور في بغداد" امور شتى منها الاخلاص لقضية الفولكلور والالمام بجذوره والحرص على التثقيف باهميته بالاضافة الى كونهما دراستين رائدتين في مجالهما.

كتب محمود العبطة في حقل الفولكلور ثلاثة كتب نحاول هنا عرض اثنين منها فهما الاهم والاوفى وتتجلى في "رجل الشارع في بغداد" و"الفولكلور في بغداد" امور شتى منها الاخلاص لقضية الفولكلور والالمام بجذوره والحرص على التثقيف باهميته بالاضافة الى كونهما دراستين رائدتين في مجالهما.

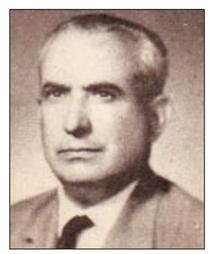

رجل الشارع في بغداد

في بدء هذا الكتاب الذي الفه الفقيد بمناسبة احتفالات بغداد بذكراها الالفية وبالفيلسوف الكندي وضع محمود العبطة عنوانا لتوطئة استلها من مقالة له نشرها في كتاب سابق له، الكتاب هو (القافلة) وقد نشر عام ١٩٥٩ وعنوان التوطئة هو (كتابة تاريخ العراق مجدداً) وقد دعا فيها المؤلف الى كتابة التاريخ اعتمادا على تاريخ الشعوب ثم بدأ المقدمة بالقول "لادري اسم ذلك المؤرخ الذي يقول انه يهتم ببائعة الخضار اكثر من اهتمامه بشاركان الامبراطور" ثم بدأ من هذه الفقرة يتحدث داعيا الى دراسة عادات وتقاليد الحياة الشعبية.

لقد تناول هذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٦٢ ما لم يهتم بابرازه سائر من كتب عن بغداد من مؤرخين عاصروها واغفلوا التاريخ السياسي الرسمي دون دراسة التاريخ الاجتماعي ومغفلين دور رجل الشارع، ذلك الدور الذي بدأ اساسيا حينا خلال الخلاف بين الامين والمأمون وايام الخليفة الناصر وتشجيعه للفتوة واثناء الفترة المغولية (في حد من الحدود) وخلال النزاع بين داود باشا وعلي رضا باشا.

لقد كان "المجتمع البغدادي يتفاعل مع الاحداث منذ تأسيس بغداد عام ٧٦٢م .. وكان تفاعله هادئاً تارة عنيفا اخرى يتبع بدرجة الوقائع والاحداث" كما يقول المؤلف ولكنه وهو يضع لبنة هذا الكتاب الهام وفي مقدمته يؤكد صعوبة الحصول على المصادر وقلة ما هو موجود بين يديه لاظهار دور رجل الشارع البغدادي في مقدرات الامور لان المصادر الرسمية "لاتكاد تعكس نشاطات الرجل العادي انعكاسات ما" ومن ذلك يتبين لنا صعوبة المهمة التي اخذها الباحث العبطة على عاتقه.

يقسم الباحث كتابه الى فصول بداخلها ابواب والواح فكيان الفصل الاول الذي حمل عنوان (رجل الشارع في عهد السيادة) يشمل الاقسام التالية:

رجل الشارع
خارج الاسوار
محال ومساكن
مكونات رجل الشارع
مدرستان عراقيتان
سياسة المنصور
رجل الشارع والضرائب
الشطار
رجل الشارع يحفظ النظام
الفتوة
العمل والعمال
الفلاحون
الفولكلور
المعتزلة

خلال هذا العرض الصراع بين الحرية ومصالح ذوي النفوذ وبين استبداد الحكام وعدم استسلام المحكومين لذلك.

ويأتي الفصل الثالث (الايام السود) مضطربا تاريخيا فهو يسير بنا سريعا وسط المغول والصفويين والعثمانيين ولكنه يشدد على انتماء البغدادي لاهله ومدينته ووقوفه ضد الغزاة ليناقش في الفصل الرابع (سيادة الشعوب) المدة من ١٨٣٩ – ١٩٦٢ وهي فترة عريضة ومليئة بالاحداث وهو يستخدم في البحث اسلوبه الخاص في عدم الوقوف عند عينة تاريخية واحدة بل ينتقل من فترة الى اخرى بسرعة فهو يدرس الاحزاب والصحافة الشعبية والنقابات والطلاب والمرأة في صفحات قليلة ضمن مدى تاريخي عريض، لكنه يقف عند الفولكلور البغدادي ورجل الشارع والفكر والتحول الاجتماعي وقفة متأنية ليؤسس صورة لازدهار عمل وتفكير ابن بغداد وقدرته على الاضافة الحضارية.

لقد جاء هذا الكتاب الذي تناول جهد ابن بغداد الشعبي منذ التأسيس حتى الستينات وسط دراسات تاريخية وادبية عامة لم تكن لتبحث في سواد الناس بل في الجوانب السياسية لرجال الفكر والمدارس الفكرية دون ان تقف عند حالة العامة.

واذا كانت دراسات د. عبد العزيز الدوري عن الجانب الاقتصادي للخلافة العباسية قد اهتمت بدراسة الحالة الاجتماعية وهو يدرس الصورة الاقتصادية فان كتاب العبطة هذا قد جاء متميزا في بابه وقد شكل اساسا لدراسات في التراث الشعبي البغدادي بدأها العبطة ذاته في كتابه:

الفولكلور في بغداد

صدر كتاب "الفولكلور في بغداد" عام ١٩٦٣ وقد اهداه المؤلف الى زوجته فقد تزوج محمود بعد طول عناء مع الكتاب والدرس والمحاماة والسياسة وكان عمره اذ ذاك بعد الاربعين بعامين، قدم للكتاب (عدا مقدمة المؤلف) د. اكرم فاضل احد كبار المشتغلين في الثقافة الشعبية ومكتشف النحات الفطري منعم فرات تتحدث بفرح عن بدء الاهتمام بالفلكلور عراقيا وتشيد باصدار مجلة التراث الشعبي وبجهد العبطة دارسا وجامعاً.

اما مقدمة المؤلف فقد وضحت فيها الدعوة الى دراسة "التراث الشعبي" دراسة علمية – وتخليصه من "طارقي كل باب في الكتابة عنه وهم لايدرون ماذا يكتبون" وهو يشيد بعد ذلك بدراسات الاساتذة عبد الحميد العلوجي ونوري الراوي (المدخل الى الفلكلور العراقي) وابراهيم الداقوقي (فنون الادب الشعبي) ولم تكن بحوث الاساتذة عبد اللطيف حبيب وعامر رشيد السامرائي وعبد المحسن المفوعر السوداني قد ظهرات بعد ليتحدث عنها مؤكدا على ضرورة تخليص الفولكلور من الاضافات التي لا تلتقي به او تشوهه.

يقف المؤلف في الفقرة (21) وتحت عنوان (العامة) ص 110 عند تعريف رجل الشارع فيقول «ولا اخال القارئ او اخالني ايضا ان نخلط بين العامي وبين رجل الشارع / ذلك ان رجل الشارع في المعنى الذي تريده هو العامي الواعي الذي يحسن في موقفه

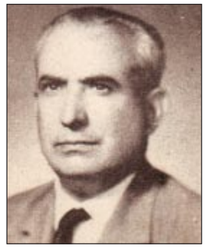

تاتي فصول الكتاب بعد ذلك على الترتيب التالي:

تاريخ الفولكلور
الفولكلور البغدادي
ماهو الفولكلور
عناصر الفولكلور
اقسام الفولكلور
فنون الادب الشعبي
الموسيقى الشعبية
الغناء الشعبي
الرقص الشعبي
الفنون التشكيلية
الفنون الجامعة
المسرح الشعبي
الوان اخرى

ويعترف المؤلف في المقدمة انه يحاول الاسهام جزئيا في هذا المفهوم الهام في ارساء مفاهيم صحيحة عن الفولكلوريات فقد "خصص بدراسة الفولكلور البغدادي وجعل في مواضيع متعددة يربطها رباط واحد بلا تبويب او تنسيق" وهو يعلل ذلك بالقول "لان الموضوع جديد بكر وهذا مما لايسيغ للباحث زج ولصق اشياء من عندياته واجتهاداته وانه قبل الثبات والاستقرار في المفاهيم العامة".

في الفصل الاول "تاريخ الفولكلور" يرجو الباحث من القارئ ان يبعد مؤقتا عن ذهنه المفهوم التقليدي للفنون والاداب التي روجها اساتذة الجامعات والمجلات والكتب وان يعود اليها بعد الانتهاء من قراءة الفصل الذي يعرف فيه كلمة (فولكلور) ومنشئها في آب ١٨٤٦ بقلم وليم جيمس توماس معتمدا على (الفنون الشعبية) لرشدي صالح وعلي مؤلفي (المدخل الى الفولكلور العراقي) حين يصف بدء النشاط الفولكلوري في العالم وتاسيس جمعية الفولكلور العالمية في لندن عام ١٨٨٨ ليثبت بعد ذلك التعريف الاول الذي توصل اليه اعضاء الجمعية في ان الفولكلور هو "علم المأثورات Narratives والعادات Customs والتقاليد Tradtine" ثم يؤكد بعد ذلك اهتمام الدارس الفولكلوري عالميا بالتراث الشعبي وينادي بضرورة الاهتمام به ويبكر بالدعوة الى "ايجاد كرسي للفولكلور العراقي في جامعة بغداد" ليدرس في الفصل الثاني (الفولكلور البغدادي) مؤكدا حقيقة غابت عن دارسين كثيرين وهم يتحدثون عن التراث الشعبي العراقي فهو يقول في ص٢٣.

ان الاقوام المقيمة في بغداد عندما كانت قرية منزوية على دجلة، كانت مشحونة باخلاقيات البابليين والكلدانيين واساطيرهم في الخليقة والكون وامثالهم واقوالهم السائرة وفنونهم وبقيت متسربة في المجتمع البغدادي".

وهو يشير بذلك الى وجود بغداد كقرية يوم كانت "سوق الثلاثاء" وقبل ذلك بكثير، فقد مر بها الاسكندر المقدوني ومر بها خالد بن الوليد واجتمع فيها العرب يشترون ويبيعون ويتنادمون، فقد كانت بغداد قبل المنصور وقبل التدوير وكانت تاخذ من الحضارات وتضيف ماديها حتى اذا ما اصبحت بغداد مدينة السلام حتى كانت قابليتها على العطاء وقبل ذلك الاستيعاب والتطوير اكثر واشمل.

لقد اخذت بغداد في الغناء الشعبي كما يقول الكاتب الموال من واسط ورفقته واخذت الزجل الاندلسي واعطته من جديد اسم الحجازي وتأثر البلاط العباسي بشعر الادوار (المزدوجات) واخذ الموشح والكان وكان والقوما وغيرها من فنون الشعر الشعبي.

ولا نريد هنا ان نلخص صورة الفولكلور البغدادي كما رسمها العبطة ولكننا نؤكد حماسته وقدرته على تجميع المصادر وايرادها ضمن سياقها الفولكلوري.

في الفصل الثاني (ماهو الفولكلور) يناقش الكتاب تعريفات (التراث الشعبي) المختلفة واختلافات علماء الفولكلور حولها ورغم ان هذا الفصل قد جاء متاخرا في فصول الكتاب فان اهميته تتضح في تاريخيته لا في معلوماته وقل ذلك عن الفصل التالي (عناصر الفولكلور) لكننا نجد تاكيد العبطة على اهمية الموضوع المبحوث رغم عدم الدقة في ايراد الصفات لكننا نشعر ان هذا الكتاب اكثر تنظيما من سابقه (رجل الشارع) لانه يحتوي على مخطط موضوع سلفا لابوابه حيث ينتقل المؤلف بعد هذا التنظير الى التطبيق الفولكلور البغدادي اقساما وانواعا كالحكاية الشعبية والشعر الشعبي بانواعها والغناء الشعبي واقسامه ثم الرقص الشعبي والفنون التشكيلية الشعبية والعمارة والفنون الشعبية الجامعة اي التي تجمع اقساما مختلفة في اداء فولكلوري واحد، ولا ينسى العبطة ان يورد الوانا اخرى كالهلاي وموسم المحبة و رمضان والزفاف والكسلة والزيارات والمعتقدات الشعبية العلوية والعاب الصبيان وضاربي الرمل دون ان يصنفها واعدا القارئ بدراستها دراسة شاملة في كتاب مستقل.

وبعد

فان كتاب العبطة هذا يعد مرجعا اساسيا لدراسة فولكلور المدينة التي احب واعطى لها، ويأتي كتابه الاخر عن الملا عثمان الموصلي استكمالا للجهد السالف فهو لايدرس حياة الموصلي الرائد فقط بل جهده الفني الشعبي في بغداد، وهو يستعين بما يستعين به الباحث الفولكلوري الرصين؛ المقابلات والمصادر المكتوبة والمسموعة لينسج كتابه بعد ذلك.

اننا اذ نتعرض الى جهد العبطة الفولكلوري لا نغفل جهده الاخر في دراسة القصة والشعر بل ندع ذلك الى مجال اخر مؤكدين ان حقل (التراث الشعبي) قد فقد برحيل هذا الباحث الكثير.

محمود العبطة: ذكريات تعود الى نصف قرن

حوار: عادل كامل

في الخمسينيات مع مجموعة من الادباء

للاديب محمود العبطة "المحامي" نشاط ادبي يعود الى اواسط الثلاثينات، وتلك هي البداية: قراءات في الصحف العربية والعراقية والاهتمام بالسياسة، والنضال الوطني. ولكن محمود العبطة حافظ على نشاطه، خلال اربعة عقود، من العمل في الادب والصحافة والمحاماة، نشر المقالات، والدراسات، واكثر من عشرين كتابا وكراسا في المقالة والادب والسياسة.

.. الف باء تقدم الاديب العبطة في الحوار التالي:

في البدء حدثني عن الكتب التي نشرها على نفقته: دراسات عن محمود احمد السيد والسياب والشعر.. وغيرها. بعدها سالته عن اهتمامه بالأدب.. متى.. وكيف؟

– بدأ اهتمامي بالادب، من خلال مطالعاتي لمجلتي الثقافة والرسالة المصريتين، منذ الاربعينيات، وقد نشرت في عام ١٩٣٧ كلمة في مجلة الرسالة، وكنت ما ازال في الصف الاول المتوسط، واول مقال نشرته، في مجلة "الهاتف" النجفية، عام ١٩٤٠.

× ماذا كان هدفك؟

– هناك جانب ثقافي عام وذاتي.

×هل كان المناخ الثقافي في الاربعينيات يساهم بخلق هذا الوضع؟

– كنت شابا وكان هناك هاجس سياسي يدفعني للعمل، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.. انتميت الى الحزب الوطني الديمقراطي مبكرا.. واخذت اكتب في جريدة "الاهالي" مقالات سياسية ضد السلطة الملكية.

× ومن كان معك، من الاصدقاء في تلك الفترة؟

– عبد المجيد الونداوي، عبد الله عباس، غائب طعمة، وادمون صبري، وهذا هو جيلنا، وكان اعجابي كبيرا بشخصية الرصافي قبل شعره!

× اكنت تعرفه؟

– نعم وازوره في بيته في الاعظمية، ونشرت عنه مقالة في جريدة – البلاد – عام ١٩٤٢.. ويستطرد متحدثا عن تلك الفترة:

– اذكر اننا كنا نجلس في مقهى الزهاوي ومعي عبد القادر البراك، وعبد القادر رشيد، وغيرهما، كنا نكتب هناك، حيث كانت مكاتب الصحف تنتشر قرب المقهى، والمطابع ايضا، وكنا نكتب بلا اجر.

× هل ثمة حادث مهم، مايزال قائما في ذاكرتك في الاربعينيات؟

– انها الوثبة، لقد كنت مساهما فيها، حيث كنت اعمل مستخدما في دائرة المساحة وكنت اهرب من الدائرة واشترك في المظاهرات، واردد الوف الحناجر، كما ان مقالات جريدة "الاهالي" و"الاستقلال" و"صوت الاحرار" كانت تقرأ وتنقل فقرات منها كشعارات تكتب على الجدران والازقة، وعلى دفاتر التلاميذ وكتب المدرسة.. ويتابع. بسرعة:

– كان الفتيان يتفجرون، وكان الادب او الثقافة تمتزج بدمائهم.

× يخيل لي، اذن، ان اهتمامك بالادب العراقي الوطني، تجذر من خلال هذا المناخ؟

– ان ما وجهته هو الصحيح، بالضبط.

× لماذا هذا الاهتمام؟

– هناك اسباب كثيرة، وربما لاننسى احسن، باننى اتكلم عن مناخي وعن نفسي، حيث ان المصادر متوفرة لدرجة هائلة، واهمها الاحياء الذين عاشوا هذه الحركات الادبية والفكرية والسياسية، والامر الاخر: هو الجانب الابداعي في الفكر.. ان هذه الاسباب جعلتني انصرف، وباهتمام شديد ، وفق امكانياتي، حتى اقوم بطبع ما اتمكن من طبعه مما يخص هذا الموضوع اي الادب العراقي المعاصر، والفكر السياسي في العراق.

× حسنا، لمذا لم تنطرق الى الادب العربي؟

– انني كتبت كثيرا عن طه حسين، في مجلة الهاتف، في الاربعينيات، وعن المازني، والعقاد، وتوفيق الحكيم، وعلي عبد الرزاق، ولا اخفي عليك، وكما بينت ذلك قبل قليل، انني تعرفت على الكتابة عن طريق الادب العربي.

× والجواهري؟

– تعرفت عليه عام ١٩٤٤، وكنت انشر في جريدته، الرأي العام، مقالات كثيرة.

× والبياتي؟

– عام ١٩٤٣ في مقهى البرازيلية كذلك على جواد علي الطاهر ومحي الدين اسماعيل، وعبد المجيد ناجي، وسالم احمد ، وعبد المجيد لطفي.

× كما هو واضح، انك تعرفت على غالبية الشخصيات الادبية، منذ الثلاثينات وحتى الان.. نود ان نتعرف على رأيك، بالجيل الجديد، من الشباب؟

– انني متتبع، وبحماس، لكل ما ينتجه الادباء الشباب، ولدي دراسة واسعة اراها تتوسع يوما بعد يوم، عن القصة، كما انني اتبع حركة الشعر الجديد، واعتبر نفسي، اول من درس حركة الشعر الحر في العراق، في كتابي المنشور بعد وفاة السياب بشهور عديدة، ولي دراسة خاصة عن سعدي يوسف، وتتبع لشعر حسب الشيخ جعفر، وفوزي كريم، وسامي مهدي، وفاضل العزاوي، وعبد الرحمن طهماز، كما انني متتبع لنشاطات موسى كريدي في عالم القصة القصيرة المركزة، وقصص موفق خضر القصيرة كما انني متتبع لمسيرة النقد الادبي في العراق، وتعجبني بصفة خاصة كتابات يوسف نمر ذياب، وباسم عبد الحميد، وفاضل ثامر وصادق الصائغ.

× وعن ابرز ملامح الادب الجديد؟

– ملاحظتي الجوهرية للادب الجديد، سواء في القصة ام في الشعر ام الدراسات، عن ظهور العنصر الفني، والصياغة الجيدة.

× ما هو رأيك بفكرة تحديد الادباء بالاجيال.. جيل الخمسينيات او الستينيات او السبعينيات مثلا؟

– انني ضد هذا التقسيم، الذي اعتبره عن اصطلاحات الصحافة، ان الاديب يعيش عصره، واعتقد انه من المستحيل ان نرسم مقاييس ثابتة لهذه الاجيال محددة بالسنوات.

× لم تحدثنا عن المحاماة واثرها في حياتك الادبية؟

– انني اتذكر كلمة للقاص تشيخوف، ومعناها: ان زوجته الطبابة، وحبيبته الكفاية، وانا لا اقول شيئا اخر، لقد مارست المحاماة عام ١٩٥٢، ولم انقطع عنها الا بضع سنوات، عندما عينت حاكما.. ثم عدت لها.

× حسنا، بعد هذه الفترة الطويلة من العمل الادبي، هل حققت او انجزت بعض الاحلام التي كانت تدور برأسك؟

– لقد انجزت بعضها، والبعض الاخر في الطريق الى الانجاز.

× ومشاريعك القادمة؟

– لدي مشروع عن دراسة المسرح في بغداد، والصحافة، وحركة التصوف في بغداد.. فضلا عن كتابي، من مواقف الرصافي، كما سيصدر لي قريبا كتاب بعنوان، من ديوان الرصافي، يضم القصائد التي لم تنشر في دواوينه.. ولدي مجموعة قصصية، وديوان شعر بعنوان، من اوراق الحياة..

عن مجلة الف باء

العدد (500) 19 نيسان 1979

من هو؟

محمود العبطة

اعداد: حميد المطبعي

صحفي ومؤرخ

الحياة شجرة وارفة الظلال، تمتد بجذورها الى تربة خصبة ، وسعيد من اقتطف ثمرة من ثمراتها، وسعيد من استقا بها، ورسم تحت افنائها صور مجد الوطن.

كانت يوميته (انه) واحدة يشتري بها الجريدة اليومية، في هذا اليوم، الاستقلال وفي غد البلاد، وقد يوفر من انات اليومية ما يشتري به مجلة الرسالة او مجلة الهداية.. ويروح يعيش عبر الاحرف الناعمة وبخيال المراهق دنيا اخرى غير التي يعيشها في المكابدة اليومية، ضمن الاطار الضيق، وكانت نقطة تحول في حياته عندما اشترى كتابا (في اصول الادب) للاستاذ احمد الزيات من عيديته، وعمد الكتاب من قبل الاب (ببسطة) عراقية لانه يقرأ هذا الكتاب ولا يعيد دروسه او يقرأ دلائل الخيرات، وكان رد الفعل قويا اذ انصرف الى (حفظ) الكتاب فكون له قاعدة وارضية وهو لايزال في سن المراهقة.

ولد هذا الانسان في ذيول الحرب الاولى في منطقة شعبية عانت هي الاخرى شقاء القرون وخرافات الاجيال.. واكمل دراسته الابتدائية وهو دون العاشرة فهو من مواليد ١٩٢٠ في محلة (ست نفيسة) بالقرب من سوق حمادة في اعمق اعماق جانب الكرخ من بغداد القديمة وابتلاه الله في المطالعة وعن طريقها ابتلاه بالبلاء الاكبر، وهو الكتابة، وفي الدراسة المتوسطة في مدرسة الكرخ كون مع جماعته في المدرسة يتذكر منهم الان نوري احمد الراوي من هواة المطالعة والرسم ومحمود عبد الكريم لمعروف ومحمد فائق العلوي وعبد اللطيف الشهابي.. كونوا جميعا جمعية ادبية للادب والخطابة وكونوا مكتبة مدرسية محترمة تحوي فيما تحويه مجلة (المجلة الجديدة) ومجلة (ابولو) ومجلة الرسالة والثقافة وتبرع احد الاصدقاء من ادباء المدرسة صادق راجي بمجلة (الحرب العالمية) . وقد اتخذ هؤلاء بما فيهم، كاتب السطور مرسما باشراف المرحوم الاستاذ رشاد حاتم، وكانوا يتناقشون في الادب والفكر والسياسة والفن.. الخ ومن يوميته ومن العيدية ومما كان ياخذه من مكتبة الخال (ابو باسم عبد الحميد حمودي) من كل ذلك فقد تمكن كاتب السطور من تكوين مكتبة تحوي كتب المنفلوطي وكتب جبران وديوان الرصافي وقصة الف ليلة وليلة، يعود اليها للقراءة في اوقات العمل وفي اوقات الفراغ، واول محاولة للكتابة ظهرت له في ١٩٣٧ في البريد الادبي من مجلة الرسالة، والمحاولة الثانية في جريدة الاستقلال البغدادية في سنة ١٩٣٩ وهي تراجم للشاعر الهندي محمد اقبال سكب فيها عواطفه الانسانية وجدها في مجلة انكليزية فقام بترجمتها وهي محاولته الاولى في هذا السبيل. ثم نشر مقالة طويلة في جريدة الهاتف النجفية في ١٩٤١، وكان التشجيع الذي لاقاه من اساتذته السند الاول في هذه المغامرات في النشر فاستاذه في متوسطة الكرخ ميشال حداد كان يقرأ انشاءه على تلامذة صفه، واستاذه في متوسطة الناصرية حسين مروة يسميه اديب المدرسة، ومن اوائل الاربعينيات حتى يوم الناس هذا، كتب هذا الانسان مئات المقالات في صحف بغداد والنجف والقاهرة وبيروت.. الخ، من الشعر الغنائي الى الشعر الوطني الى التراجم عن الانكليزية الى النقد الادبي، الى المقالات السياسية والاجتماعية وهي فيما لو طبعت لكونت مكتبة كاملة، ونشر على نفقته ومن جيبه عشرين مؤلفا منذ ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٨٤ تتراوح بين السياسة والادب والتاريخ والحديث والفولكلور بعضها مفقود من الاسواق كدراسته عن محمود احمد السيد ودراسته عن بدر شاكر السياب ودراسته عن رجل الشارع في بغداد. وحاول الاشتغال بالصحافة فاصدر بالتعاون مع بعض الزملاء مجلة (التراث الشعبي) في الستينيات وبعدها مجلة (القلم) فلم يفلح في استمرار صدورها وتوظف لمدة ثماني سنوات تقريبا بوظيفة حساسة بعيدة عن الادب والفكر فاستقال من وظيفته.. وانصرف بعد الاستقالة الى الكتابة في الصحف وتاليف الكتب ، والسعي في الارض طلبا للخبز وللورد وللكتاب وللحق وللجمال وللحرية وللحب.

محمود العبطة

محمود العبطة في ذكرى رحيله

سعد هادي

ظل محمود العبطة طوال حياته الثقافية والمهنية أسيراً لفكرة الحداثة وأنموذجاً حياً لها، وكانت له (وهو المحامي والقاضي والصحفي والورّاق) صفة تميزه عن غيره من شيوخ الأدب وتقربه من الشباب، تلك هي هوايته في اكتشاف المواهب على اختلاف مشاربها وإمكانياتها ومصادرها المعرفية، كان يبحث عنها بمفرده، يطالع الصفحات الثقافية ويتابع ما ينشر في المجلات والدوريات.

وما يقدم في الإذاعة والتلفزيون ويسأل ويتقصى، تحرّكه في ذلك حاسة الخبير القانوني ثم يصرح وهو يرتشف "استكانات" الشاي في أي من المقاهي التي يرتادها: فلان شاعر جيد، فلان قاص ينتظره مستقبل باهر، سيكون لفلان مستقبل لامع في الصحافة، أي مقال هذا الذي قرأته لك بالأمس، بالإضافة إلى أحكام أخرى من النوع نفسه، تبدو متعجلة أحياناً أو على قدر من المجاملة والمحاباة في أحيان أخرى، ولكن الزمن الذي قد مرّ منذ رحيله)

توفي العبطة في منتصف تشرين الثاني١٩٨٦ عن٦٦ عاما(حتى الآن أثبت صواب بعض أحكامه وموضوعيتها وإنها قد صدرت عن فهم ماهية العمل الأدبي وأساسياته وخصائصه ولم يحركها الانطباع الآني وحده، وكانت لآرائه وأحكامه من جانب آخر قوة دفع معنوية للشخص المقصود، فلربما دفعته وهو المغمور والهامشي لأن يشعر بالزهو وانه قد فعل شيئا ترك صداه لدى متذوق ومتابع دؤوب وحساس مثل العبطة. ساعده ذلك دائماً على أن يكون قريباً من الشباب، بل وعلى أن يظل شاباً بالروح والفعل وبالموقف أيضاً، كان يسرد باستمرار أن الزمن يتغير ولا بد للأدب والثقافة أن يتمثلا المتغيرات ويعبران عنها، وهذا ما جعله على سبيل المثال يصدر كتابه الرائد: بدر شاكر السياب والحركة الشعرية المعاصرة ١٩٦٥وهو تاريخياً الكتاب الأول الذي صدر عن السياب، في وقت كان فيه الشعر الحديث يسعى على رمال متحركة ويتلقى الطعنات والشتائم من كل جانب.

كان ما يحرك العبطة باتجاه الحداثة ومظاهرها وآلياتها بالإضافة إلى حاسته الصادقة، مبدئيته التي جعلته يرتبط مصيرياً بأحداث كثيرة منذ الأربعينيات التي كان فيها فتياً وحتى الثمانينيات التي أضحى فيها شيخاً–شاباً يجد سعادته في محاورة الشباب والأخذ بأيديهم إلى سبيل يعتقده صحيحاً ويؤدي إلى عالم أفضل، كانت مبدئيته ميزة أخرى تجعله يحتد أحياناً وهو الرقيق، ذو الأدب الجم، والدبلوماسي الذي يقارب بين الآراء، كان يغضب حين يتذكر شخصا مارس فعلاً انتهازياً أمامه في موقف ما أو ارتكب خطأ في فصل من قضية ما، أو يستعيد حدثاً في قضية كان هو من شهودها، كان يتبدل في لحظات وتفصح عيناه عن الألم والغضب، في مواقف أخرى كان يصمت ويتجاهل ما يروى أو يلتفت إلى ناحية أخرى، وقد يعقب بعد مزيد من الإلحاح على حدث معين: مولانا، لتخلينا نكشف الأوراق.

كانت لدى العبطة كمية هائلة من الأوراق هي أرشيفه وهي مادة ذاكرته الخصبة، وهي معينه في ما أصدره من كتب وكتيبات وكراسات، بعضها كان مثيرا ومؤثرا في مادته وسبقه التاريخي:

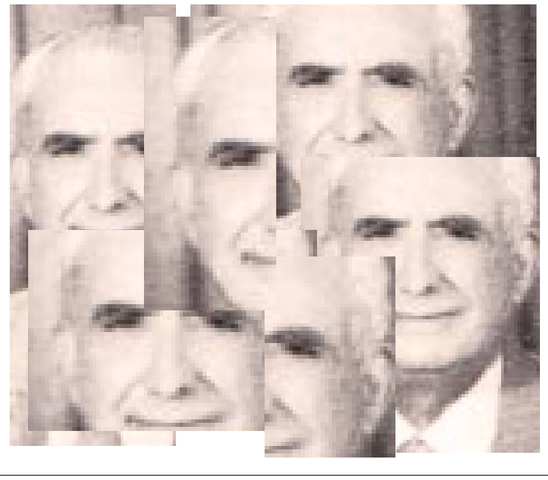

القصة القصيرة في العراق ١٩٥٧، رجل الشارع، الفولكلور في بغداد ١٩٦٣، الديمقراطية في العراق ١٩٦٠؛ محمود احمد السيد ١٩٦١، رؤساء تحرير الزوراء ١٩٦٩، الخطيب في تاريخ بغداد ١٩٨١ وسواها من الأسفار الموجزة التي كان يجد متعته في ملاحقتها بين المطابع، ينشرها على حسابه ويقوم بتوزيعها بين المكتبات ويخسر الكثير من وقته وجهده في سبيل ذلك ثم يعيد الكرة وهكذا دون أن ييأس ودون أن يتخلى عن حلمه في أن يقول كلمته ويمضي مع راحة القلب والضمير، قلبه الذي خذله وضميره الذي ظل كما يعتقد الجميع نقياً.

أتذكره كما لو إنني ودعته بالأمس، يجلس على الأريكة ذاتها في مقهى "حسن عجمي" يضع قبعة الخوص إلى جانبه ويرتدي بدلته الصيفية الأنيقة (وارتداء البدلة هي إحدى ميزاته أيضاً كبغدادي قح من زمن المدينة الذي أفل) ويضع إلى جانبه حقيبة جلدية أو رزمة من الكتب أو ملفاً ورقياً، يتحدث إلى أصدقائه من الشباب أو يناكد صديقه الأزلي الشاعر الرومانسي شفيق القيماقجي (الذي رحل هو الآخر خلال التسعينيات)، ينكت ويتحدث عما قرأه اليوم من قصائد ومقالات وقصص، يؤشر لما فيها من جديد و استثنائي ومثير، ربما أيضاً سيتحدث عن صديق غائب أو يتحدث عن مأثرة له، وجهه أليف، يشع بالعافية وراحة النفس الداخلية، لمسة أبوية يمكن الإحساس بها في حركته وإيماءاته وفحوى كلامه، وهي ليست لمسة الأب المتزمت الصارم، بل لمسة الأب الصديق خلقاً وسلوكاً...انه يناقش لدقائق ثم يصمت ليتأمل في الماضي أو ليفكر في مقال سيكتبه أو في كراس يعده للنشر، ثم يعود ليعقب على كلمة قالها أحدنا أو ليروي طرفة يقهقه مع تفاصيلها، ثم فجأة يستأذن ويغادر المقهى للمرة الأخيرة، تاركا مكانا شاغرا وذكرى لرجل لا يتكرر.

محمود العبطة: الديمقراطي الشعبي

د. جليل العطية

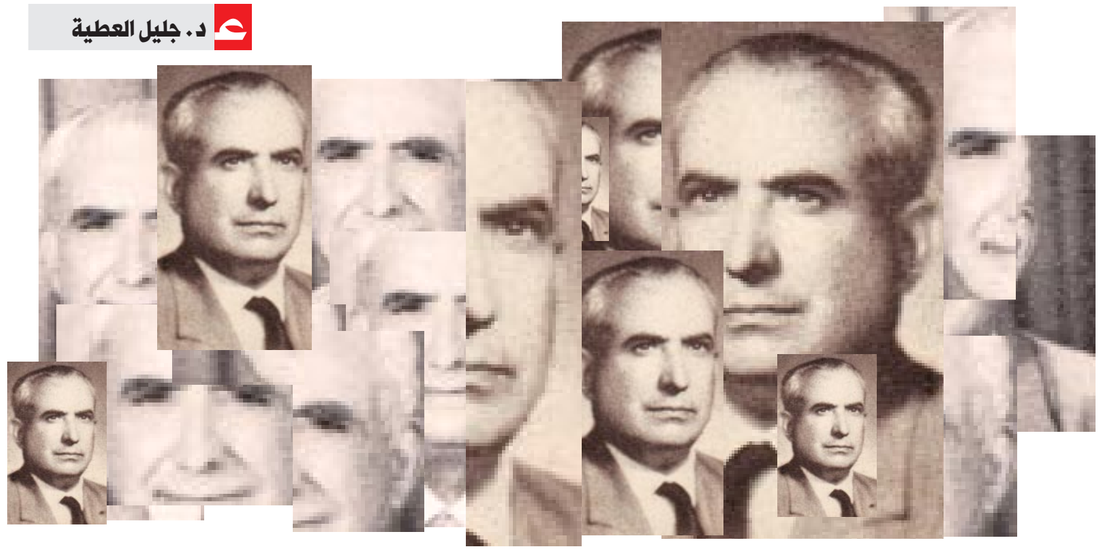

ظلت "الديمقراطية" غائبة عن الساحة السياسية العراقية، فطيلة ثلاثة ارباع القرن العشرين، لم يتمتع بها الشعب العراقي إلا في اوقات قصيرة، عابرة.

غير ان هذه الحقيقة المؤلمة لم تمنع وجود وجوه ديمقراطية من واجبنا التعريف بها للاجيال المطالعة. لتستلهم منها الصبر والجلد في مواصلة التفاح من اجل بناء عراق ديمقراطي دستوري مسالم.

محمود العبطة: واحد من هذه الوجوه الاصيلة.

ولد محمود بن ابراهيم بن جاسم في (الست نفيسة) في كرخ بغداد (١٩٢١)، من تلك المحلة، استعد بذور شخصيته الاولى من بيئتها الشعبية المضمخة بالتراث البغدادي، الكرخي الاصيل، وبعد ان اتم دراسته في (الجعفرية والكرخ) اختار (الحقوق) طريقا له لخدمة مجتمعه وعندما تخرج فيها (١٩٥٢) مارس المحاماة فترة طويلة حتى (١٩٦٦) حيث اضطر الى قبول الوظيفة فعين حاكما في عدة محافظات ومن منها خانقين بعقوبة. وبلدروز والكوت والبصرة حتى (١٩٧٢) بعدها عاد الى عالمه الحر: المحاماة، في هذه الفترة كان قد كسر إضرابه عن الزواج، فتزوج في (١٩٦٦) وكان حصاد زيجته اربع بنات منحهن اهتماما واسعا في التوجيه والارشاد وحب الخير. وظل يواصل الكتابة والمطالعة والتأمل ويتابع الكوارث التي حلت بعراقنا الجريح حتى اختارمه الموت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٦.

اعجب العبطة في صدر شبابه بجعفر ابي التمن وكامل الجادرجي، وكان لمعروف الرصافي – الشاعر – تأثيره العميق على افكاره في الحرية والديمقراطية، وجاءت وثبة ١٩٤٨، لتضع العراق على عتبة تحول اجتماعي عمق وعي شعبنا بالمخاطر التي يتعرض لها، فوجد في (الحزب الوطني الديمقراطي) ضالته المنشودة، فأنتمى اليه، وكرس حياته وفكره للمبادئ الديمقراطية التي مارسها انطلاقا من بيته، حيث كان شقيقة (محمد) ينتمي الى (حزب الاستقلال) – اي التيار العروبي – وظلت علاقاتهما يسودها الحب والاحترام المتبادل، رغم تغير الظروف وتشابكها فيما بعد.

ويمكنني ان اؤكد ان (محموداً) ظل وفياً للديمقراطية ولشعبه طيلة حياته، فلم يغره منصب، ولم يسل لعابه لثروة، ولم يستغل ظرف ما لتحقيق غاية شخصية.

كانت المقاهي اماكنه المفضلة، واخبرني انه ورث هذا – الداء الشعبي – من والده، الذي كان معمارا بارزا، شيد الكثير من المساجد والقصور كجامع حنان، وجامع الشيخ صندل وبعض دور آل المميز في (الصرافية) وآل الظاهر في (الصالحية) وغيرها.

وفي السنوات الاخيرة اتخذ مقهى (الزهاوي) المطل على شارع الرشيد مقراً له كان يزجي اوقاته برشف (النارجيلة) وفي الوقت نفسه يراقب ما يجري، ويتأمل ويتألم..

كان المخضرمون من الادباء وقراء (المقامات العراقية) هم خلطاؤه المختارون، وكان يسر بتحلق الشبيبة حوله، كان هؤلاء يعجبون بتعليقاته واحاديثه وتحليلاته لما يجري على أرض الرافدين والمنطقة باسلوبه: السهل الممتنع.

تعرفت الى محمود العبطة في ربيع ١٩٥٨، وكان صديقي العتيق خضر الولي صلة الوصل، وقد ادهشتني شخصيته المتمردة، الساخرة، ونكاته اللاذعة التي يوجهها ببساطة وعفوية بعد اندلاع بركان تموز تحول مكتب محاماته الكائن في (ساحة الشهداء) الى خلية نحل.. وكانت ١٩٥٩ وما بعدها بقليل صعبة عليّ – وعلى امثالي – واشهد انه (حمائي) من بعضهم، بل كان يصحبني الى مقرات الحزب الوطني الديمقراطي في (الاعظمية) وغيرها ويطالبني بالنقاش، و ابداء الاراء الصريحة فيما كان يجري، وبواسطته تعرفت الى صفوة الديمقراطيين والتقدميين، وتعلمت احترام الرأي المضاد! وباعدت بيننا الايام، غير انه كان يرفدني بما ينتج، وعندما اعتقلت بأمر شخصي من صدام حسين (او اخر ١٩٦٨) قدم بغداد خصيصا ليحاول (عمل المستحيل) وبذل والدي – رحمه الله – جهداً لمعرفة المكان السري لاعتقالي فلم يجرؤ أحد على اخباره بذلك، إلا صديقه محمود العبطة الذي اخبره باننى (مطمور) في (قصر النهاية) الذي لايبعد سوى خمسمائة متر عن داري!! وفي ١٩٧٢ التقينا لقاء مطولاً، كنت استعد لترك العراق، (للعمل رسميا في الكويت) وكان قد ترك الوظيفة كحاكم عائدا الى (المحاماة) بعد ان عجز عن تادية واجباته نتيجة تدخل عناصر (الحزب الاوحد) في كل شيء!

وجاء الحديث على ذكر مستقبل العراق في ضوء قيام (الجبهة الوطنية التقدمية..) فعلق قائلا:

– لا ثقة لي بهؤلاء.. واشار الى صورة تجمع بين (البكر وصدام).. البلد مقبل على مجازر والجبهة (عرس واويه)!

وصدقت نبؤته! فلقد تحقق العرس وارتدت ملايين النساء اثواب الحداد في وقت لاحق!

محمود العبطة شخصية بغدادية فذة، وقائل يعرفون ان لقبه جاء من اسم جدته!

سألته يوماً عن معنى لقبه، فاحالني الى (لسان العرب)، وعندما راجعت هذا المعجم اللغوي الشهير وجدت للعبطة عدة معان منها الداهية!!

وقائل يعرفون ان محموداً كان (تكريتي) الاصل والفصل!

ولو شاء (اعلان) هذه الحقيقة، واستثمارها (تجارياً)، باصقاً على ماضية الوطني، شاطباً على مبادئه القائمة على الايمان بالديمقراطية والحرية، لزاحم اليوم (خير الله طلفاح) و الاربعين من لصوص بغداد وما جاورها!

غير انه لم يفعل ذلك، فذهب الى وجه ربه ناصح النقاء، سليم القلب.

وعندما سرق صدام حسين (الراية) من سيده البكر (تموز ١٩٧٩) اراد استمالة الناس اليه بشتى الوسائل الترغيبية والترهيبية. من بين هؤلاء ابناء مدينة (تكريت)!

فاصدر (فرماناً) يقضي بمنح كل من ينتسب الى تكريت:

قطعة ارض وسيارة اضافة الى عدة الوف من الدنانير وامتيازات اخرى.

ولقد تبارى بعضهم في محاولة ايجاد وشيجة مالهم باحد (التكارتة) للحصول على تلك الامتيازات التي كانت ايامئذ تعادل ثروة حقيقية.

حدثني محمود العبطة في اخر لقاء لي به انه فوجئ ذات يوم بضابط امن يسأله بجد:

– قيل لنا انك تكريتي.. بهذا فانك تستحق (مكرمة السيد الرئيس)، اكتب لنا (شجرة) نسبك رجاء..

اضاف ان النكتة لم تفارقه في تلك اللحظة، فاجابه:

لاخير.. معلوماتكم غلط.. فاصلي من (تلكيف)!

عن كتاب (فندق السعادة)

العبطة.. الاديب الموسوعي

عبد القادر البراك
صحفي عراقي راحل

× لم يكن رحيل محمود العبطة الى عالم البقاء بالشكل السريع المريع الذي ثم فيه من الامور المتوقع حصولها فقد كان الى ايام من ارتحاله يملأ مجالس الادب وناديه بكل طريف وجميل مما وقف عليه، اوقام بانتاجه من فصول في الادب العراقي وسير اعلامه في الماضي القريب والمعاصر وعما اكتشفه في (الزوايا) و(المضان) من كل ما هو جديد ومفيد لاغناء التراث العراقي في الشعر والادب والغني والموسيقى والحرف اليدوية القديمة والجميلة التي مازالت بقاياها ماثلة في اسواق (العنتيكات)!

× لقد كان العبطة مثالا للاديب الموسوعي الواسع الاطلاع في كل فنون المعرفة وكانت سعة اطلاعه مدعاة عدم تخصصه وبروزه في فرع واحد من فروع المعرفة ولقد خلف من البحوث التي يعتد بها وما تعتبر في اعداد الافذاذ من الباحثين بذل فيها من الاخلاص والجهد ما يشكر عليه في المقدمة منها كتبه (القافلة) (جمال الدين الافغاني في بغداد)، (الملا عثمان الموصلي)، (الزهاوي) و(الرصافي)، ولم يترك علما من اعلام الادب والشعر واللغة ممن لم يتناوله الاخرون الا واعطى حقه، وفي هذا المجال له في اعناق وشراة الادب خلال النصف قرن التي اضطلع خلالها بالكتابة الادبية ديونا لايجمل بهم نسيانها او عدم الاعتراف بها ومجازاتها بما تستحق من تخليد العبطة بعد ان عانى من ضروب الحياة ما عاناه اي عامل دؤوب في مضمار المحاماة والصحافة والقضاء وفي العمل من اجل الخير العام.

ج. الاتحاد كانون الاول 1986

مؤلفات محمود العبطة

رفعة عبد الرزاق محمد

ولد الاستاذ محمود العبطة ببغداد عام ١٩٢٢ في محلة الست نفيسة احدى محلات الكرخ ببغداد ، واسرته نزحت من شمال بغداد واستقرت في هذه المحلة ، ويبدو ان (عبطة) وهي ام جاسم العبطة جد الاستاذ محمود كانت لها شخصية قوية في اسرتها ومحلتها ، فاطلق الناس اسمها على الاسرة . وقد اشتهر ابوه ابراهيم جاسم العبطة بمهارته في البناء ، وكان من اشهر اسطوات بغداد ومعماريها ، ولم تزل بعض آثاره قائمة كدور الظاهر في شارع حيفا ودور المميز في الصرافية (نقابة الصحفيين) وجامعي حنان والشيخ صندل ببغداد . وتوفي عام ١٩٥٠ . ومن اولاده الاستاذ محمود العبطة ومحمد العبطة وزير العدل عام ١٩٦٦ .

اكمل الدراسة الابتدائية ثم الثانوية في مدارس مختلفة ، و دخل كلية الحقوق فتخرج فيها عام ١٩٥٣ ، فترك وظيفته في مديرية المساحة العامة ، ومارس مهنة المحاماة ، كما عين في الستينيات قاضيا على بعض محاكم العراق ، ثم عاد الى المحاماة الى النهاية . وكان الادب واهله وكتب المعارف العامة الاقرب الى اهتمامه منذ الثلاثينيات ، ومن هذا مقاله في مجلة الرسالة المصرية عام ١٩٣٧ وهي اول مقالة منشورة له ، وهي التي حفزته الى استمرار الكتابة في شتى الصحف والمجلات منذ اوائل الاربعينيات حتى رحيله . وفي الهزيع الاخير من حياته كانت جريدة العراق وصفحتها الثقافية موضع مقالاته الادبية والنقدية والتاريخية . عقد صلات واسعة مع المثقفين العراقيين على مختلف انتماءاتهم الفكرية ونزعاتهم في الكتابة والابداع ، ولم يفرق في اهتمامه بين اديب مخضرم واخر ناشيء ، بين اديب كلاسيكي واخر من متعاطي الادب الحديث ، كما كان صديقا حميما لطبقات شعبية مختلفة ، وكنت احضر مجلسه في مقهى جزيرة العرب عصرا وقد التف حوله اصحاب العلاوي والمحال التجارية في منطقة علاوي الحلة وهم فرحين باحاديثه وتعليقاته اللاذعة والساخرة . ومن هنا نفسر المفاجأة المحزنة للجميع برحيله في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٦ .

ترك العبطة العديد من الكتب المهمة في بابها على الرغم من صغرها ، واغلبها قد طبعت على حسابه الخاص ، وكان حريصا على توزيعها على اصدقائه بلا مقابل . وقبل وفاته بايام قليلة كان قد وضع اللمسات الاخيرة على الحلقة الرابعة من مجموعته (القافلة) الي نشرها قبل سنوات ، واعد كتابا عن الشيخ خالد النقشبندي وآثاره في بغداد . وقد جمع شيئا كبيرا عن الاستاذ كامل الجادرجي والحركة الديمقرطية في العراق لاعداد كتابا عن تطور الحركة الوطنية الديمقراطية غير كتابه القديم عنها . ويجدر القول ان العبطة كان من اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي وهيئته في الكرخ ، وكان معجبا بالاستاذ محمد حديد ، وتولى مسؤولية جناحه في جانب الكرخ عندما تفجر الخلاف داخل الحزب الوطني الديمقراطي بعد ثورة تموز ١٩٥٨ .

آثاره المطبوعة

١ . ادباء معاصرون بين بغداد والبصرة (البصرة ١٩٧١) .
٢ . اضواء على شعر وحياة بدر شاكر السياب (بغداد ١٩٧١) .
٣ . بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الحديثة في العراق (بغداد ١٩٦٥) .
٤ . بغداد وثورة العشرين (بغداد١٩٧٧)
٥ . جمال الدين الافغاني في بغداد (بغداد ١٩٧٧) .
٦ . الخطيب وتاريخ بغداد (بغداد ١٩٨١) .
٧ . الديمقراطية في العراق ، ج١ (النجف ١٩٦٠).
٨ . رجل الشارع في بغداد (بغداد ١٩٦٢).
٩ . شعر وتغريد ، مجموعة قصائد القيت في حفلة تكريم الشاعر خضر الطائي سنة ١٩٤٣ لفوزه بجائزة افضل كتاب عن الشاعر العربي ابي تمام الطائي (جمع واعداد) ، (بغداد ١٩٦٨) .
١٠ . عثمان الموصلي في بغداد (بغداد ١٩٧٣) .
١١ . الفارابي في بغداد (بغداد ١٩٧٥).
١٢ . الفولكلور في بغداد (بغداد ١٩٦٣) .
١٣ . القافلة ، ١ (بغداد ١٩٥٨) ، ٢ (بغداد ١٩٥٩) ، ٣ (بغداد ١٩٦٨) . وهي مجموعة مقالات مختلفة للكاتب .
١٤ . المتنبي ذلك الشاعر البدوي (بغداد ١٩٧٧) .
١٥ . محمود احمد السيد ، دراسة (بغداد ١٩٦١) .
١٦ . معروف الرصافي ، حياته وآثاره (بغداد ١٩٩٢) ، من مطبوعات دائرة الشؤون الثقافية .
١٧ . من ديوان الرصافي (بغداد ١٩٧٨) . استدرك فيه على ديوان الرصافي المطبوع بخمسة اجزاء .
١٨ . من رؤساء تحرير جريدة الزوراء (بغداد ١٩٦٩) ، صدر ضمن العيد المئوي للصحافة العراقية .
١٩ . الموسيقى في بغداد (بغداد ١٩٧٨).
٣٠ . الوطنية في شعر حافظ جميل (بغداد ١٩٨٤) .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2312)
السنة الثامنة
الخميس (24)
تشرين الثاني 2011

محمود العبطة... وثقة الأديب الكاتب

مهدي شاكر العبيدي

أخيرا انتقل الى جوار ربه الاديب والمحامي محمود العبطة، مودعا بالاسف والشعور بالاسى من لدن عارفيه من ادباء ومحامين، وكل من اتصل بهم ذات يوم او حادثهم بحكم المهنة او لمجرد المجاملة من ناس تتوزعهم شتى المهن والحرف، ويتمثل فيهم المجتمع البغدادي بخصائصه وسماته المعهودة، وابينها التوجه بالتقدير والاحترام حيال المتميزين في الميادين الابداعية من شعر وكتابة وغيرها، دونما احساس مقيت ان ذلك ما تم إلا من اخمال صيتهم وغصب حقهم في الانباء والسيرورة والذيوع، على ان هذه الخليقة احق ان تعزى الى المبدعين انفسهم من ان تساور من لا شأن له بالادب والفن، غير ان يظهر اعجابه بما يجسدانه من نوازع وافكار، ويعدوه الى مشاكلتهم في مواقفهم واستجاباتهم، حيال الظروف والحوادث.

ورصيد الفقيد محمود العبطة من تقدير الرجل البغدادي واحترامه، يرجع في مقداره على غيره من ادباء لامعين وسواهم، وقد يكون مبعثها احيانا الى تبسط الرجل ودماثة خلقه وامتلاكه مزية الحديث البارع العذب، قبل ان يكون مأتاها اعتراف بتعزيزه على غيره من المؤهلات المسوغة حشده في رعيل الادباء او اعتباره من رجال القانون.

ومفارقة ملحوظة في مسار حياته، انه رغم سبقه غيره في المناسبات العارضة، كأن تعتزم الجهات الاعلامية في القطر احياء ذكر بعض الخالدين من المفكرين والمؤرخين والشعراء، فيهرع الى المصادر والمراجع، ليتزود منها بالروايات والوقائع، وينقطع لكتابة مبحث، معربا من خلاله عن اعتزازه بالتراث والثقافة العربية، من غير ادلال بالتبجح وادعاء ما ليس في وسعه من الاستيعاب والشمول والتعميق، سوى تأميله ظهور الباحث المكتمل الاداة، ليصب جهده وطاقته في استكماله وتناوله من مختلف اطرافه، ويسوقه طموحه من بعد الى المجازفة بطبع هذا المبحث المقتضب في كتاب على نفقته، دونما لجوء الى معونة وتعضيد من احد، نقول رغم سبقه الاخرين في هذا الغرض، فانه لابدل بانتصاب قامته في دنيا الاداب، انما يعتد ذلك من قبيل الهواية التي تمارس في اوقات الفراغ، كما اعلنها قولة صريحة خلل مساجلته للاستاذ هلال ناجي حول موضوع إقامة الزهاوي في مصر، على صفحات مجلة المعارف اللبنانية المحتجبة.

ويتصل بهذه السمة او الميزة ثقته المكينة بالنفس، هذه الثقة العاصمة له من فرق وخشية ان يظهر جيل ادبي يفوق السابقين في تحسسه بحاجات العصر وانبرائه للتعبير عن مطالبه ومستجداته، فضلا عن اضطلاعه بدعاوة التجديد في الانماط والقوالب الادبية، بله واجترائه على تقويم نتاجاتهم بغير مقاييس زمنهم وضوابطه، ان لم يمسكه احسان الادب وسمو الخلق عن رميهم بالتهافت والركاكة والسطحية، على شاكلة ما افتئت على الجيل الشعري لما بين الحربين، من جري على منوال شعراء العصور العباسية ومحاكاتهم في صياغاتهم ومعانيهم، ونكوصهم عن استيفاء ما اسموه وحدة عضوية اشترطوها للشعر الجيد المحكم، ولعل هذه الثقة وحده هي مصدر فرحته كل مرة، إزاء ظهور الاجيال الادبية الجديدة بمبدعيها كافة من شعراء وقاصين وباحثين، من غير تمييز او استثناء المبدعين والمنتحلين، وحتى الذين تنفضح إغارتهم احيانا على نتاجات سابقة ومغامرتهم باعادة نشرها باسمائم، يلقون منه الحدب والاشفاق، وحسبهم تأديبا في ظنه ان لا يعودوا لمثلها، ان لم يخرج لهم عذرا ان ذلك من دلائل خطورة الادب في حياة المجتمع، ولولا عرفانهم ذلك ما ورطوا انفسهم فيه، ولا بد ان يسلكوا في قابل ايامهم الطريق السوي ان كانوا من ذوي المواهب، وذي مقارنة ثانية تنضاف الى سابقتها في حياة رجل المحاماة والقضاء، إذ لا دخل للعواطف في التماس المحجة والتفريق بين الحق والباطل.

وكذا كان اهتمامه بدراسة نتاجات الرواد واعلام الثقافة والمفكر في العراق والوطن العربي امثال الزهاوي والرصافي والشرقي والازري ومحمود السيد ومنذور وطه حسين، وغيرهم، معرفا بانجازاتهم ومواقفهم عبر الازمات والمحن القاسية التي عانى منها المجتمع العربي، مستهينا بكل ما يمكن ان يوجه لكاتب يعنى بامثال اولاء، الذين لم تخل حياتهم، في الغالب من تكدير وسخط العامة والمسؤولين في العهود المنطوية، جراء ما صدعوا به من دعوة الى الاصلاح ومحاربة الجهل ومقارعة المستعمر، لانه يعف عن مجازاتهم بالتنكر والاجحاف والعقوق بعد انطوائهم وغيابهم، فوق ما كابدوه وتجرعوا منه بالصغير وبالكبير، وشرقوا به في حياتهم. ولا تجد تفسيرا لمثل هذه العناية بابداعات الجيل السابق، وانبأه ذكره كل مرة سوى هذه الثقة وجدها من وجوه التفسير والتحليل.

ولعل قراء صفحتي (ادب وثقافة) و(النافذة الفكرية) لجريدة العراق، طيلة السنوات الاربع الماضية، مقدرون بشكل جيد لأهمية وطرافة ما نشر فيهما الفقيد العالي من مقالات بصدد النقد والجو الادبي والفولكلور والتراث البغدادي وسير النابهين من رجال العلم والشعر والسياسة في النظر، مضمنا فيها خطواته ولمعات فكره، بذلك الاسلوب البسيط الخالي من البهرجة والتنميق والافتعال والتكلف، فقد كان فيها مترسلا حد التعجيل، سوى احتراسه من تداول ما ينفر عن الفصاحة من مفردات العربية، ومعذور هو الاخر في حيدته عن فقه وجوه استعمال بعض احرف المعاني مما لا يتحاماه ارباب الدراية يفنون الكتابة، ان صح ما استهدف به من لدد ومؤاخذة بهذا الشأن.

وكثيرة هي مطامح هذا الاديب لو ساعفه الوقت، ولو انقطع عن اشغال المحاماة، وما هذا المطلب بالسهل، لانه يخالها مصدر رزقه الاول، ولانه بعد العمل قوام الانسان وعنوان كرامته ورفعة شأنه بين الناس، ولم يخلق بيننا بعد من ينتزع لقمته من طريق الكتابة مهمة سمت قدراته، واخذها بالمراس والدربة، على انه انتزع شهادة القانون في كلية الحقوق، بقسمها المسائي، في بداية الخمسينات ممضياً نهارات ايامه مصححا ومحررا في بعض الصحف ورقى بها بعد مزاولة المحاماة الى سدة القضاء، فيستقبل منها مجددا عهده بالمحاماة، فكان للعمل في دنيا المعاشي، على امتداد سني حياته، المحل الاول وللكلمة المحل الثاني.

وذا لا يبخس حقه في الاعتراف بذاكرته القوية المحيطة بالاخبار والروايات والوقائع ذات المساس بالواقع الادبي عبر حقبة تنوف على الاربعين عاما، جراء مواكبته للحركة الادبية في عموم الوطن العربي، واستغراقه في الدرس والقراءة، إبان طوره الاول، مما رشحه لحسن ادارة المجالس الادبية مضفيا عليها من عذوبة نفسه وطراوة حديثه ما يعمر الصدور بالانس والبهجة، ويغري بالامل والثقة بالحياة والناس.

ففي ذمة الله والحق ايها الراحل العزيز.

كلمة القاها الباحث والناقد العبيدي في تأبين العطية عام 1986

العبطة.. ايها الرجل الطيب

هادي الربيعي
صحفي وشاعر عراقي

حين طالعت خبر رحيل محمود العبطة في الصحف وكان ذلك عام ١٩٨٦، لم انزو في زاوية بعيدة عن العيون، لاستسلم لذلك البكاء الطويل الذي تعودته وانا اودع الى الابد حسين مردان، حسين الجليلي، عبد القادر العزاوي، عبد الامير الحصيري اولئك الذين عشت مع بعضهم حتى الاعماق طرفا من حلو الحياة ومرها، ولم تستسلم عيوني للدموع التي ربما تكون قد تحجرت بعد ان تجاوزت عنصر المفاجأة، وادركت حقيقية الموت، ذلك الذئب الدموي الذي يتجول بيننا باستمرار ليذكرنا بحتمية الحقيقة المرعبة الخالدة، وليختطف بين حين واخر، صريعاً اخر على طريق الكلمة المضيئة.

ذات يوم من عام ١٩٦٨ والمكان مطبعة الامة في بغداد، حينها كنت اطبع اول مجموعة شعرية لي وكان محمود العبطة هناك بسيكارته التي لا تنطفئ وجسده الثقيل الذي يتحرك بحيوية متدفقة، يحمل مسودات لعدد من القافلة او مطبوع اخر لا اتذكره تماما، كانت مجموعتي متأخرة عن الطبع بسبب تأخير استاذي الدكتور يوسف عز الدين في كتابة مقدمة للمجموعة، وحين عرف العبطة بالامر ضحك وهو يقول لي تعال معي.. فذهبنا معا الى غرفة قديمة في المطبعة وجلس العبطة ليكتب هو مقدمة المجموعة وحين انتهى منها قال لي:

– ابدأ بطبع المجموعة يا رجل فالزمن يجري..

وبدأت الطبع فعلا وصدرت المجموعة الشعرية الاولى بمقدمة كريمة من الراحل العزيز تؤكد سماحة قلبه الكبير وهو يقدم بشوق شاعراً مرتبكا ما زال يضع اولى الخطوات على طريق الابداع.

هذا ما اتذكره الان بوضوح عن الفقيد الراحل رحمه الله، لكنني لن انسى انه كان قطباً مهما من اقطاب الحركة الثقافية في محافظة ديالى حينما كان يعمل هناك. الى الدرجة التي تجعلني اقول دون تردد، انه كان المحور الرئيسي لهذه الحركة، ولن انسى مواقفه الكبيرة وحبه الغريب الذي لا يعرف حدوداً لجميع الطاقات الشابة التي كان يلتقي بها، والتي كانت تستمد منه العزيمة والمثابرة في مواصلة مسيرتها الابداعية، ولن انسى ابداً انسانية هذا الرجل الذي اوقف ذات يوم رجلا وضع فوق حماره احمالا تفوق طاقة هذا الحيوان المسكين، وكان يعمل حينها حاكما في احدى توابع المحافظة، حيث طلب من الرجل ان ينزل هذه الاحمال عن الحمار ويحملها بدلا منه، وحين رأى صاحب الحمار الشرر يتطاير من عيني الحاكم الجديد، حاول ان يحمل الاحمال الثقيلة على ظهره غير انه اعترف بتوسل بانه لا يستطيع ان يتحملها، عندها اخبره الحاكم ان داخل جسد هذا الحمار قلباً، وانه يمتلك طاقة محدودة، وان عليه ان يكون انساناً فوعده الرجل خيراً وهو يمضي مذعوراً يتلفت خلفه خشية ان يتعقبه الحاكم الجديد.

ذلك هو محمود العبطة بابسط التعريفات انسان حقيقي مثابر لا يعرف الكلل، وعاشق لجميع اولئك الذين اضاءت في قلوبهم شرارة الابداع ومحب لكل الشباب الذين يبدأون الطريق الصعب، راهب زاهد بكل الاشياء من اجل كلمة حقيقية صادقة تصدر من الاعماق، لم تحمله اقدامه يوماً للسعي وراء مجد زائف، مؤمنا بان المبدع الحقيقي، هو الذي يستطيع فرض حضوره الابداعي بقيمة ابداعه.

لقد زرع محمود العبطة في قلوب جميع الذين عرفهم عن كثب، بذور محبته فاينعت وازدهرت، ورغم انني كنت قليل اللقاء بهذا الرجل الرائع الذي علمني الكثير ووضع أولى خطواتي على الطريق، الا انني كنت احمله دائما في الاعماق، وكنت حريصا على ان اكون جديرا باحترامه وحبه.

محمود العبطة.. نجمة اخرى هوت وتحولت الى شظايا من النور تملأ قلوبنا وتذكرنا ببساطة الرجال وتواضعهم وهم يشيدون صرحا لمجد الكلمة الطيبة فوق الارض، نجمة اخرى تذكرنا بذئب الموت الذي يقتفي اثار خطانا اينما سرنا، فنشدد قبضتنا على الزمن، ونمسك به بعنف ونحن نقسم يمين الولاء باننا سنحاول ان نقول كلماتنا جميعها قبل ان ينال منا هذا الذئب الدموي.

محمود العبطة و (القافلة)

يقول العبطة ان استعادة استذكار تاريخ اصدار اول كتاب تعيدني الى شبابي المتحمس، فبعد ان نلت الشهادة الجامعية بشق الانفس ومرارة الجهد ساعيا ان تكون وسيلة اسهام في الخدمة العامة والنشاط الثقافي. وكان ذلك اواسط عام ١٩٥٨ وقد طفح الكيل حينذاك ضد وجود النظام الملكي البائد ولكني لم اجد بدا من المغامرة المشروعة في اصدار كتاب يصور الواقع الاليم ويرسم خطوط المستقبل ويستشرقه.

لقد اعتدت الكتابة في الصحف ومعايشة اجوائها لذا لم تكن غريبة عني تلك الطباعة لذا كان مقهى البرلمان مستقراً لي اسود فيه الصفحات خواطر عامة في قضايا الادب والفكر والسياسة.

× وهل جمعت ذلك في كتاب؟

– كنت ادفع ما اكتب وعلى الصورة التي بينتها الى المطبعة حتى تجمعت حوالي (١٠٠) صفحة وجهلت لها مقدمة طويلة بينت فيها دافع تأليفي هذا الكتاب وصورة عامة للفكر العراقي في فترة كتابة (القافلة).

× وكيف وزع الكتاب؟

– وزعته بيدي على المكتبات وكذلك باعة الصحف الذين كان لهم دور حساس في توزيع المطبوعات ولكن النتيجة ان الكتاب قد كلفني حريتي الشخصية اذا القي القبض علي وحجز على الكتاب ولكن الذي انقذني ان قامت ثورة الرابع عشر من تموز بعد يومين من توقيفي فافرج عني وعن الكتاب، هذه التجربة الحلوة – المرة.

× ومن تولى طبع الكتاب؟

– انا بنفسي.. ليس لهذا الكتاب فقط بل لك ما نشرته من كتب لاحقا اي حتى كتابي الاخير في عام ١٩٨١ عن بغداد ومؤرخها العظيم الخطيب البغدادي.

× وماذا كان صدى الكتاب؟

– اقول لك رأيي انا فيه.. رغم ان كتبي العشرين التي تلت الكتاب الاول كلها تستوحي روحه في المعالجة والرؤية واخذ الموقف لكنني لا اعتبره القدوة في المعالجة والتحليل والنظر الى الاشياء بل ان تلكم الخصائص عمرها ربع قرن ولكن يبقى الكتاب الاول لهذا فقد الفت الجزء الثاني من (القافلة) بعد اقل ممن سنة وعلى تأليف (القافلة) الاول واردفته بالثالث وتحت يدي الجزء الرابع وهكذا.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

عاشق الأحلام

علي حسين

محمود العبطة الطيب والخلوق وصاحب القلب الابيض وبسمة الطفل ورائد الكتابة عن رجل الشارع في بغداد والسياب وقضية الشعر الحر، الرجل الذي لم يمنعه الكبر او المرض يوما من ان يؤدي دوره – على بساطته – في رفد حياتنا الثقافية، مثلما لم ينقطع يوما واحدا في التردد على المقاهي الادبية من البرازيلية ومرورا بالزهاوي والبرلمان واخيرا يحط الرحال في حسن عجمي وسط اصوات الادباء ومناقشاتهم ومعاركهم الادبية تجده يسأل عن فلان وعن اخر نتاجه ويشجع فلانا ويحثه على مواصلة الكتابة، يناقش ويثير النقاش واذا ما طاب له موضوع ما انبرى للكتابة عنه، بصدق ونقاء وامانه، صدق الكاتب ونقاء القلم وامانة الباحث، وكنا نراه فرحانا جذلا حين ينشر له مقال. كفرح الاديب الناشيء يوم يجد اسمه مطبوعا في احدى الصحف رحل العبطة عام ١٩٨٦ وهو يحلم بان تبادر دائرة الشؤون الثقافية بطبع احد كتبه ولم يتحقق هذا الحلم الا بعد سنوات طويلة حيث نشر له كتاب الرصافي من اصدارات الوزارة.

لم يترك فراغاً بل ترك مكتبة عامرة ضمت اكثر من اربعين مؤلفا وعددا هائلا من المقالات الادبية، عبر اكثر من نصف قرن مارس فيها الكتابة في الصحف والمجلات العربية والعراقية.

عاش حيويا كثير الضجيج ولكنه مات ولم ينشغل في الكتابة والحديث عن ما بعد البنيوية والتفكيكية وغيرها من الموضوعات التي كان يقرأها وهو مبتسم وحين تسأله عن رأيه لاتجد على لسانه غير جواب واحد، (وما يبقى الا ما ينفع الناس) لانه يؤمن بان الكتابة الحقيقية للناس ومن اجل الناس، وان مهمة الكاتب والفنان هي في خلق ادب وفن في متناول الجماهير، تستطيع ان تفهمه وان تحبه.

رحل العبطة تاركا وراءه محبيه ومريديه الذين وجدوا فيه استاذا في النقاء والطيبة وفي حلاوة الحديث وصدقه..